

تصدير

هنا لا شك فيه أن النظرة التربوية والتثقيفية نحو الطفل اليوم تغيرت عما كانت عليه في الماضي . ولعل هذا التغير يعظم ويتضح أكثر بالنسبة للواقع الحضاري لكل مجتمع من المجتمعات وعلى نسبة ذلك الواقع من التقدم والتطور.

وكان الاعلان عن « سنة 1979 » أنها السنة العالمية للطفل محاولة عالمية لربط مختلف الشعوب ولفت أنظارها واهتمامها الى ما يجب تقديمه من عناية بالاطفال ، لا سيما أطفال ما يعبر عنه بـ « العالم الثالث » . هذا العالم الذي ما يزال يرزح تحت نير التخلف كباره وصغاره على حد سواء . ولعل صغاره أحوج لأنهم حجر الزاوية لتطوره وتغييره مستقبلا . أما الآباء والأجداد فما نالوه من « حظ » قد تنطبق عليه العبارة المأثورة « .. ليس في الامكان أبدع مما كان .. » .

وإذا كانت مجلة « قصص » مختصة في القصة فليس حديثها عن السنة العالمية للطفل ، وعن ضرورة العناية بأدب الاطفال ، يعنى بالاساس « الأدب القصصي » للاطفال ، وهو الزاد التقليدي الذي كان يقدم في الحكاية والخرافة والاسطورة محكية او مكتوبة ، ذلك أن ثقافة الطفل في العصر الحديث تجاوزت ذلك التصور البسيط والمداول الساذج لما ينبغي أن يقدم للطفل من غذاء روحي ؛ فقد أصبحت ثقافة الطفل ثقافة عامة تمتد بداية من الخيال الحي الى عالم الفضاء ، ومجاهيل الخلايا ، وخبايا الاراضي . وكان انتشار وسائل الاعلام - البصرية منها خاصة - مما أوجب ذلك الاتساع والشمول لعبارة « ثقافة الطفل » . وكان على غير الاطفال وعلى من أنيطت بعهدتهم رعاية تلك البراعم وتهذيبها و « تثقيفها » أن يعملوا على ايجاد التناسق بين العين الباصرة ، والأذن السامعة ، والذهن الصغير المتطلع . ومن هنا جاء الاخاح على ثقافة الطفل المعاصر . ومن هنا - أيضا - كان الاخاح على الكتاب العرب أن

يكونوا في مستوى المسؤولية المناطة بعهدتهم . فهل كان هؤلاء الكتاب – فعلا – في ذلك المستوى ؟؟ إلا أن المسؤولية لا تلقى على الكتاب وحدهم بل أنها لتنصب بحدة أكثر على الناشرين ؟ لأن القضية ليست قضية مضمون فقط بل هي قضية شكل وتقديم كذلك . وكلاهما يتطلب معطيات لا بد من توفرها إذا نحن أردنا – عاجزين – أن نكون في مستوى الاهداف ، والغايات ، والآمال التي نسعى الى تحقيقها ، أو نقول ذلك على الأقل . ولعلنا نعود الى هذا الموضوع في عدد آخر من هذه المجلة .

« قصص »



عبد الوهاب النفبه رمضان

اللَّهُ يَرْزُقُنِي

- لقد وعدتني يا أبى بشراء محفظة جديدة .

- هل فنتيت محفظتك يا سامى ؟

- لقد وعدتني السنة الماضية وما قبلها ،

- الله يرزقنا يا ولدى .

- ما زالت قائمة الملابس الملائم لم تحضر يا أبى .

- هل ما زال الكثير يا مراد ؟

- لم نشتر إلا الثلث تقريبا .

- الله يرزقنا يا ولدى .

وخفضت سلمى رأسها ولم تنطق بحرف .. كانت تود أن تقول : إن جهازها لم يحضر منه الكثير .. خطيبها ما زال يكرر طلبه فى كل مناسبة .. وأما دائما تماطل .. وأبوها دائما صامت .. تريد أن تقول لأبيها أن يعجل فى جعلها سيدة بيت .. ولكن شيئا فى نفسها يمنعها من البوح بما يجول فى خاطرها .

وأجال حامد بصره فى المنزل . كان أبناؤه ينظر الواحد منهم الى الآخر وفى نفوسهم كلام لا يبوحون به .. البارحة التفوا حول مائدة يلتهمون خبزا

تليه جرعة ماء .. وقد ذهب سامى الى المطبخ يبحث عن شىء فلم يجد سوى رأس بصل صغير بين الاوانى تكسوه طبقة كثيفة من الغبار . وما كاد يمسحه حتى افتككه منه أخوه كمال .. ودارت معركة .. معركة من أجل رأس بصل تكسوه طبقة كثيفة من الغبار معركة سال فيها الدم حين غمس أحدهما ظفره فى وجه أخيه . وانتصبت الأم حكما .. وأخذت رأس البصل ، فمسحته ، وقسمته نصفين متساويين ولم تضرب أيا منهما ، ولم تصح فى وجه أحدهما . ولكنها بقيت مستلقية على فراشها ولم تنم الا قرب الفجر .. كانت هذه الذكريات تجول فى خاطرها وهى تخفى قارورة صغيرة فيها ثمالة من الزيت . كانت قد وضعتها خفية فى قفة زوجها ، ولكنها حين عادت وجدت القارورة فى المطبخ ، كانت قد وضعت قليلا من الحبز فى القفة ولكنها وجدت القطعة كاملة بجانب القارورة .

حين بحث حامد فى قفته عن عشائه وجد قليلا من الزيت فأثر به ابتاه .
وحين قارن قطعة الحبز بما هو عشاء لابنائه تركها وخرج بقفته فارغة .

طالت به المسافة بين منزله والميناء .. الميناء كبير .. السفن فى الميناء كثيرة .. الحركة فى الميناء نشيطة .. فى الصيف تنشط الحركة فى ميناء المهديتين فى اليوم .. مرة من العصر الى المغرب ، ومرة من الفجر الى الضحى .. حين تغادر المراكب الميناء بحثا عن السردينة والاسكمبرى وغزال البحر .. ومرة تعود المراكب .. ولكن اللحظة الحرجة هى تلك التى تدخل فيها المراكب الى الميناء .. وقتها تدخل بعض المراكب كأنها هودج يحمل عروسا جميلة ، فالبشر يعلو وجوه البحارة وقائدهم ، وبعض المراكب تدخل وكأنها محملة بجثة إنسان عزيز .. فتجدد الاسى يقطر من الوجوه ، والعيون تنظر الى الافق اللانهاى كأنها تبحث عن مجهول .

فى نفس حامد حسرة كبيرة .. منذ أسبوع والمركب يدخل فجرا كما غادر الميناء عشية ، ينزل البحارة الى المركب .. ينزعون ثيابهم النظيفة ويلبسون ثيابا ملطخة بزيوت وغيرها تنبعث منها رائحة السمك .. يحل البحارة عقد الجبال ، وتكثر الحركة فوق المركب ، ثم ينبعث من المحرك الكبير أزيز يصم الآذان ، وترسل فى الفضاء كتل كثيفة من الدخان الاسود . وتنطلق المركبة تشق عباب الازرق الممتد ، تنطلق المركبة تجر وراءها مركبة متوسطة فيها

الآخر يفتسمه البحارة كل حسب مرتبته .. للقائد أربعة أقساط وللبحار البسيط قسط واحد وبينهما درجات .

اسبوع كامل يمضى والركبة كما تغادر الميناء تعود اليه ، والبحارة مطالبون بنصف ما أنفق لشراء الوقود من الانتاج المنتظر .. لم يستطع أحد أن ينام أو أن يمتك مستلقيا .. فقد كانت عيونهم لا تفارق الماء المضاء بأنابيب المركب الكبير .. كانوا ينتظرون السمك متى يحوم حول مركبهم .. سمك كثير .. سردين غليظة يباع صندوقها بثلاثة دنانير ، خمسمائة صندوق تقريبا .. اسكمبرى غليظ يباع صندوقه بعشرة دنانير ، ثلاثمائة صندوق تقريبا .. مليون ونصف وثلاثة ملايين ، جعلتها أربعة ملايين ونصف .. أوه !.. ذاك كثير .. حظ البحار البسيط منها حوالى مائة دينار .. مائة دينار فى ليلة واحدة .. وكثير من السمك .. تمتلئ القفاف .. ويرقص الاطفال حول قفة أبيهم .. يشتعل الكانون وتبعث رائحة الشواء .. لذينة جدا السردين المشوية .. وتسمع موسيقى كثيرا ما حنت اليها أسماع الاطفال .. موسيقى الاسكمبرى فى المقلاة .. لذينة جدا الاسكمبرى المقل .. مائة دينار .. سوف يشتري حامد لسامى محفظة جديدة .. سوف يشتري حامد لمراد بقية ما يحتاج اليه من ملابس حتى يقبله مست الترشيع .. أكثر البحارة فى المهديّة يبعثون أبناءهم لمدارس الترشيع .. فى تلك المدارس المبيت مجانا .. الكتب والكراريس مجانا .. ذاك هو سبب انتشار المعلمين من المهديّة فى جبال القصرين وجبال سليانة .. وجبال بنزرت والكاف ..

ولم ينس حامد أن صهره يطلب التعجيل بالزواج .. لكن المائة دينار لا تكفى .. آه !.. فى الليلة القادمة نفس الشيء .. ولماذا لا تتكرر العملية لمدة عشرة أيام .. لا ! لا ! ذاك كثير .

وأفاق حامد من حلم يقظته .. فقد شاهدت عيناه المسمرتان فى الماء سربا كبيرا من السمك ، سردين غليظة ، اسكمبرى غليظ ، كان السمك يبدو تحت ضوء الأنابيب كأنه قطع من الفضة تتراقص فى الماء .. كان السمك يقفز فوق الماء كأنه يريد أن يتدوق شيئا من الهواء الذى يتنفسه ابن اليابسة . وسرت الفرحة فى القلوب، وعلا البشر فى الوجوه . واجتمع كل البحارة يدقون النظر فى الماء .. وبدأت أسراب أخرى من السمك تتجمع حول المركب ، وانقشعت

الشبكة ، وتجر وراءها أيضا قاربين صغيرين ، فى كل منهما محرك لتوليد الطاقة الكهربائية .

وتصل المركبة الى مكان تحوم حوله طيور البحر ، فيسكت الازيز لحظة .. لينبعث أزيز آخر من مولد الكهرباء بعد أن تلقى المرساة فى أعماق اليم .. ويلتف البحارة حول قفافهم يلتهمون عشاءهم وقد غربت الشمس وانتشر ظلام يملأ العالم الفسيح ، العالم السحري بين ماء وسماء .. فلا ترى الا النجوم تزين قبة السماء ، وحيثما رميت بصرك فانك ترى الاضواء منتشرة .. يتجمع السمك حول أنابيب الكهرباء الكبيرة .. ويأتى القاربان حين يشاهدان إشارة ضوئية منبعثة من المركب الرئيسى .. ويشرع البحارة فى العمل .. يلتقون الشبكة الكبيرة حول ضوء واحد منبعث من قارب صغير .. ويبدأ الصباح .. تارة تشجيع للبحارة وتارة شتم وسباب يقذفه فم القائد وهو يرى أحد البحارة يتسبب فى ضياع السمك بسبب تقاعسه .. ويصل قاع الشبكة الى سطح الماء ، وهذا يحدد شعور البحارة .. فان كان السمك غليظا وكثيرا كان البشر والسرور ، وإن كان السمك صغيرا أو قليلا كان العبوس وكانت الحسرة .

تذكر حامد - وهو فى طريقه الى الميناء - ليلة البارحة .. بعد إلقاء المرساة اتخذ لنفسه مكانا بعيدا عن الأعين .. وفتح قفسته وانحنى عليها متظاهرا بالأكل .. فى حين أنه لم يذق شيئا .. حين كان ابناء يتخاصمان على بصلة صغيرة تعلوها طبقة كثيفة من الغبار كان حامد يعضغ لا شئ، وينظر الى قفسته الفارغة .. لا لشئ، إلا ليوهم الآخرين بأنه لم يقض ليلته بلا عشاء .

ونام كل البحارة بل بدا لهم أنهم ناموا .. استلقى كل واحد منهم فى مكان ما على المركب فى انتظار أن يأتى القائد لايقاظهم ، ولكن النوم لم يزر أى واحد ممن على هذا المركب .. أسبوع كامل مضى دون أن يعودوا ولو بسمكة واحدة لا لمنازلهم ولا للسوق .. أسبوع كامل مضى فكان إنتاجهم تحت الصفر وليس الصفر ذاته . ذلك لأن كيفية اقتسام الانتاج هو خصم ما تنفقه المركبة من وقود وأنابيب إذ كثيرا ما يحدث أن تتكسر أنبوبية وسعرها يفوت الخمسة دنانير .. بعد خصم تكاليف الانتاج من المحصول يقسم الباقي نصفين بالتساوى .. نصف لصاحب المركبة مقابل امتلاكه المركبة فحسب ، والنصف

سحابة من الصمت والكآبة كانت تملأ المركب ، وحل محلها حديث وفكاهة ، وأسرع القائد الى غرفة القيادة ليعطى الاشارة الضوئية للقاربين البعيدين عن المركب .. حتى يأتى كل منهما بحركة بطيئة تتخللها أصوات المجاذيف .. وحول كل قارب تتراقص أسراب السمك كأنها فى حفلة عرس .

وصل القاربان، وتكاثر السمك حول المركب ، وقفز الجميع من المركب الكبير كالعادة ، ذلك أن الحركة كانت نشيطة تلقائيا ، وانبعث أزيز محرك المركب المتوسط .. وجعلت الشبكة دائرة من الخفاف كأنها رسم مهندس حاذق .. وبدأ عمل البحارة ، فقد كانوا يجذبون الشبكة بكل ما لديهم من قوة حتى لا تنفلت ولو سمكة واحدة.. وفجأة علا صياح البحارة ، وبدأ السباب والشتيم يتقاذف من فم القائد :

- اجذب يا ابن ..
- اجذب يلعن ..
- الدلفين كلانا
- اجذب يا ..

ولكن سرب الدلفين كان اسرع من جذب البحارة ، لو كان واحدا لهان الامر .. ولكنها مجموعة تفوق العشرة .

فى موسم السردينية العدو اللدود للبحارة هو الدلفين - ذلك انه لا يفعل شيئا سوى انه يقفز وسط الشبكة ثم يمزقها فيجد السمك فتحة لينفلت منها .

خارت عزيمة البحارة ، فقد رموا سرب الدلفين بالحجارة المعدة لهذا الغرض ، ولكن صندوق الحجارة نفذ ولم يهرب سرب الدلفين ، ولم تعد ترى رقص الدلفين الذى كلما مزق الشبكة فكأنما مزق قلوب البحارة كلها التى كان الأمل يملؤها .

وخرجت الشبكة فارغة .. ولم يكن الامر كذلك فحسب ، بل إن البحارة
القوا شبكة فأخرجوا كومة من الحيوط قد عاثت فيها الدلافين تقطيعا
وتمزيقا .. وعاد السمك الكثير الى قاع البحر فزعا من الدلافين .. وعاد
الوجوم الى المركبة .. وأطفئت الاضواء .. ورفعت المرساة .. واخذت المركبة
طريقها نحو الميناء ، وكانها جنازة من أبشع الجنائز .. لم يكن البحارة قد عادوا
بمركبهم فحسب .. بل إنهم خسروا شبكة كاملة .. فان كان فيها بارقة أمل
لعلاجها فذلك يتطلب أياما وخصما جديدا من انتاج الايام القادمة يذهب
أجرة لمن سيرقعها .

كان المكان المخصص لانزال السمك مملوا بالهياطين وتجار السمك
وأصحاب المراكب .. كل ينتظر رزقا جديدا .. وقد ظن الجميع أن المركب عاد
مملوا بالسمك لانه رجع مبكرا.. ولكن المركب عوض أن يذهب الى هناك اتجه
فى طريق سوى .. ليقفز أحد البحارة على اليابسة فيأخذ الحبل ويربط
المركب .. وأسرع صاحب المركب ، ولكنه حين علم بمأساة الدلافين ضبط
أعصابه ولم يصيح فى وجه أحد بل قال بصوت كاسف :

— لا بهم .. الخليفة على الله .. سوف أخرج شبكة جديدة من المنزل .. غدا
إن شاء الله تجلبون خيرا كثيرا
<http://Archivebeta.Sa>

دخل حامد الى منزله صامتا .. واستقبلته زوجته صامته ، فالقى نظرة على
أبنائه النيام بصمت ، واستلقى على فراشه ، ثم التفت الى زوجته قائلا
بحسرة :

— غدا لن أعود الى المركب .

— المهم أنك عدت سالما .

ورفعت الزوجة كفها لتمسح دموع كبيرة فى الظلام ...

— هل أكل الاطفال شيئا .

— لقد بعثت لهم أمى قليلا من المحمص والزيت .. ولكن ! معذرة ، لقد
تركنت لك قليلا فمثر عليه الاطفال ..

وفهم حامد أن زوجته قد اختلقت تلك الكذبة لتخفف من آلامه .. وأحس
برغبة في البكاء . ولكن عظم عليه أن يبكي وهو الرجل المفتول العضلات .
وصمت لأنه لم يجد كلاما يقوله .

وفى الغد بعد منتصف النهار ، استلقى حامد على فراشه بعد أن قال
لزوجته :

– اذا نمت لا توقظيني .. فلن أذهب الى المركب .

ولكنه حتى الثالثة لم يستطع أن ينام .. فقفز من فراشه ، ولبس حذاءه ،
وأخذ قفته ، ثم سار نحو الميناء وصوت زوجته يرن فى أذنه مخاطبا سامي :

– الله يرزقنا يا ولدى .

عبد الوهاب الفقيه رمضان

المهدية فى 29 / 1 / 1979



أَمْدَمْتُ

خَطَابًا بُوْهَنَا لِمَعْدَانِ

خرج الرجل يصطاد .. حمل الرجل هراوته على كتفه وخطا وسط الغابة .
كان الرجل يتبع تلك الآثار التي تقود الى النبع . كان الرجل يقتل الأصوات
تحت قدميه وينفتح بكل أذنيه لأصوات الغابة من حوله .. كان الرجل قرب
النبع وانفتح بكل حواسه للأصوات التي تصدر عن الغابة . لم يكن الرجل
يفكر .. كان جانعا .

جاء الصيد وسط الغابة . كان الصيد حذرا وسريعا . كان الصيد سمينا
وعطشانا .. وكان يقصد النبع .. تقدم الصيد في اتجاه النبع . دارت بعوضة
حول رأس الرجل الكامن وسط الأعشاب قرب النبع . تقلصت أصابع الرجل
حول عصاه عندما التقطت حواسه الصوت الذي يتحرك به الصيد .

وسط أصوات الغابة الاخرى انطلقت صيحة الرجل عندما وثبت هراوته ،
ووثب معها جسده ، ووثب الصيد مجفلا . سقط الصيد قبل ان يجد الطريق
الذي يبعده عن الخطر . سقط الصيد سمينا ، ساكنا ، ميتا . وقف الرجل
يلهث . وضع الرجل رجله على رقبة الصيد ثم اطلق صيحة أخرى .

امتدت الصيحة طويلا في جهاز التلفزة الذي كان يتحدث عن طفولة
الانسان .

★ ★ ★

خرج الرجل يصطاد . حمل الرجل شلقوره ماسكا إياه من دراعه الخشبية .
كان الشاقور حجرا مصقولا مشدودا من خلال تجويفه الى الذراع الخشبية .

كان مشدودا أيضا من خلال ذراعه الخشبية الى اصابع الرجل . كان الرجل حذرا ويسير على الطريق المؤدى الى النبع وسط الغابة . انفتح الرجل على الاصوات من حوله وانفتحت له الغابة لكي تغيب بين حشائشها . بقيت مياه النبع تسيل كما اعتادت ان تفعل ذلك وسط سكون الغابة .

جاء الصيد حذرا ، سميئا ، عطشاننا يسير فى اتجاه النبع . كان الرجل ينصت . قد يكون الرجل يفكر فى كل ذلك الحجر الذى ذوبه قبل ان يستقيم شاقورا . تقلصت اصابع الرجل حول الذراع الخشبية للشاقور . قد يكون الرجل يفكر فى كل ذلك الجوع الذى يحركه .

عندما وثب الرجل وثب الصيد وارتفعت ذراع الرجل بذراع الشاقور ..

بقيت ذراع الرجل مرفوعة وجسده واثبا والصيد معلقا فى الفضاء .

هكذا كانت اللوحة التى عثر عليها منقوشة على جدار كهف من الكهوف التى تتحدث عن طفولة الانسان . كانت تلك اللوحة مصورة بالوانها الطبيعية معروضة فى اطار خشبي فى متحف الانسان تحمل اسم الكهف وعصر الانسان الواصل وراء الصيد .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

* * *

خرج الرجل يصطاد . حمل الرجل رشاشة ، واحكم حزام الخراطيش حول جسده . ركب الرجل السيارة العسكرية المجنزرة التى كانت تحمل رشاشات أخرى وخراطيش كثيرة . ضحك الرجل للآخرين وضحك الآخرون . تحدث احدثهم عن الارانب البرية ذات الجمجمة المسلوخة .. ضحك الآخرون . تحدث الرجل عن كل الارانب التى اصطادها فى حياته من خلال اجازاته فى اللعب الليلية . ضحك الآخرون لكي تبقى ضحكاتهم معلقة فى حناجرهم .

عندما ضغط السائق على فرامل السيارة وكانت اصابع الرجل واصابع الرجال الآخرين متقلصة حول اذرع الرشاشات ... عندما انطلق الارانب البرى يجرى امام السيارة كانت الرشاشات تثرت فى ايدي الرجال . عندما سقط الارانب البرى مسلوخ الجمجمة وقف الرجال يضحكون حوله برشاشتهم المصوبة الى جسده .

فى ذلك المساء عندما كان جهاز التلفزة يعرض شريط طفولة الانسان كانت وكالات الانباء الاخرى تتحدث عن الارانب البرية التى سلخت جماجمها فى فيتنام والجزائر وانغولا وفلسطين وبيروت .. كان الرجل يقهقه مع الآخرين ويتحدث عن ارناب العلب الليلية .

للاطفال عرضت ادارة برامج التلفزة صورة يوحنا المعمدان وهو يجاهد لكى يبرز من وراء كومة الشحم التى تعلو بطنه ووجنته . كان يوحنا المعمدان يتحدث عن الخطايا التى تقود الانسان الى الحرمان من الجنة . قال يوحنا المعمدان : ان الاعتراف يخلص الانسان من ثقل الذنب الذى يعذب ضميره . اعترف يوحنا المعمدان أن خطاياء هو مثلاً تتمثل فى تعلقه الشديد بلحم الارانب البرية المسلوخة رغم انه يعارض قتلها . اردف يوحنا المعمدان اعترافه ذاك بابتسامة طويلة بقيت معلقة على الشاشة .

أحمد ممو

تونس فى 9 / 9 / 78



<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

عبد العزيز فاخنت

الدخول الى الجنة

فى زمان لم تشرق فيه شمس ، ولم يلمع فيه كوكب ، جلس فتى امام شيخه ، يذكر فضله عليه ، ويلتمس منه النصيح والارشاد . ويستشيريه فى امر تردد فى الاقدام عليه كثيرا... ثم قر عزمه على أن يضع لتردده حدا فقال :

« ما رأى شيخى .. فى أن ارتحل الى البادية .. فافقه الناس ، وايسر لهم أمور دينهم ، ودنياهم ؟ »

لم يرفع الشيخ رأسه .. ظل مشغلا بمسبحته ، يسقط حباتها بتؤدة وبطء .. فيحدث تساقطها وقعا منتظما ، يتردد صداه فى أذنى الفتى .. ويمتد الى نفسه ! فتتجسس أنفاسه ، وينتابه مزيج من الشك والحيرة .. ! فشعر بشيء غريب فى عينيه لم يالفه من قبل .. ! كان يحفل به ، ويبتهج بكل سؤال يلقيه عليه ! فيشعر بالغبطة والسرور . وتجذبه نظراته .. فيدرك ما يكنه له من عطف وحب .. ويزداد ثقة بنفسه . فيتشجع على محاورته .. وإبداء آرائه ...

« .. لم ينظر الى هكذا ؟! »

قالها فى نفسه وصوت الشيخ يغمره :

« كنت أتوقع أن تعبر لى عن رغبتك فى مواصلة التعلم ، فاذا أنت تطمح الى أكثر من ذلك .. ! ما دمت تعتزم الرحيل ، فلم لا ترحل الى العاصمة ؟ إن فى جامع الزيتونة ، شيوخا أفاضل . لو تجلس اليهم تزدد علما .. ! لا أشك فى أنك ستوفق .. ! انى واثق من ذلك .. وأرى لك مستقبلا زاهرا ان فعلت .. ! »

أطرق الفتى برهة .. :

« .. أذهب الى العاصمة ..! وأدرس في جامع الزيتونة .. وأجلس أمام
شيوخ أفاضل .. وأصبح عالما .. شيخا مثلهم ..! ما أجمل أن يتحقق هذا..!
ولكن كيف أذهب الى العاصمة ..؟! .. »

أدرك الشيخ ما يحول بخاطر الفتى ، فشجعه على مواصلة الحديث قائلا :

– فيم تفكر ..؟! ولم لم ترد على ؟

– آه .. صحيح .. صحيح ما قلته .. ونعم الراى ؛ ولكن الا ترى أن أقوم
بهذا العمل وأنا فى طريقى الى العاصمة ؟

صمت الشيخ وكفه تضغط المسيحة ، فبرز حياتها من بين أصابعه .. :

– ولماذا ؟



همهم الفتى .. ثم قال :

– اليسوا فى حاجة للمعرفة ؟

– حاجتك لها اوكد ..!

– وما قيمة ما أعرفه أنا .. اذا لم ينتفع به هؤلاء ؟

– إن ما تعرفه . لا يحقق غايتك ..

– سأرحل ! ن فشلت مهمتى ..

– الى غيرهم ..؟

– الى أن أصل الى العاصمة ..

– لا أنصحك بهذا .. فقد تنقطع بك الاسباب .. ويفتر عزمك .. فتتقطع
صلتك بما أنت فى حاجة اليه ..!

– سأعمل بنصيحتك .. إن فشلت مهمتى ..

نهض الشيخ غاضبا ، وأبدل الخطو وهو يردد :

- أنت حر .. أنت حر .. لقد استشرتني ولم أبخل عليك برأى
ولكنك لم تقتنع به ..!

فلحق به الفتى معتذرا .. :

- لا .. لا .. أنا مقتنع ..!

- ولم الاصرار إذن ؟!

- الحق أقول لك : إننى لا أستطيع الذهاب الى العاصمة مباشرة .. كما
تعلم ..!

- أعلم ذلك جيدا ...

وارتسمت على شفثيه ابتسامة .. سرعان ما اتسعت .. ولم تلبث قليلا حتى
انطفأت .. وانكمشت غضون وجهه .. ثم اتبسّطت .. وارتفعت يده تربت على
كتف الفتى وهو يقول :

- توكل على الله يا بنى ..! ولا تنس هدفك الاسمى ..!

- لن أنساه أبدا ..! <http://Archivebeta.Sakhril.com>

- لن أنساه أبدا ..!

- وأنصحك بمعرفة من ستفقهه . وتبسّط له أمور دينه ودنياه .. فمعرفتك
بالناس تيسر لك مهمتك .. يا بنى ..!

انحنى أمامه ، يقبل يده .. ويودعه .. ثم توكل على الله ..
وارتحل ...

حل بببء شاسعة ، ففرح به أهلها ، وأكرموه . وفي خيمة جديدة
اجتمعوا حوله ، وهو يلقي على مسامعهم كلاما لم يسمعوا مثله من قبل .. ولم
يردده شيخهم : صاحب السلطان على الانس والجان ، وفاتح الابواب
الموصودة ، وكاشف الغم عن النفس المكروبة ..!

فى كلام هذا الفتى رقة وعذوبة ، تطمئن اليه النفس ، وينشرح له الصدر؛
فتفغر الانفواه .. وتشخص العيون ..! ويبلغ منه الجهد مبلغه ؛ فيصمت ..
وتلتقى نظراتهم ..! فينفضون من حوله وفى عقولهم حيرة ينتابها شك
مريب ..!!

ويهرعون الى شيخهم ، يبلغونه حديث الفتى ؛ فيغضب .. ويشور :
« .. ما أبسط عقولكم ..! فتى غر لا صنعة له .. بكلام حلو يستميل نفوسكم ..
ويعبث بأقدس مقدسات عرشكم ..! فتدب الحيرة فى عقولكم . وتصبح البركة
شعوذة ، والتفاؤل ، والتشاؤم ، عجزا وخنوعا .. وحماية النفس من الجان ،
عبث وتضليل . ما الذى يستطيع أن يفعله .. اذا تلبس بأحدكم الجان ؟! وهل
بإمكانه أن يتعرف على كنز فى الارض ، بدون أن يكون له سلطان على المارد
الأكبر ؟! سلوه ! ستعرفون مدى جهله ..! ومن المشعوذ هو أم أنا ؟! »

نكسوا رؤوسهم ، وتمتموا صاغرين ..! ونفوا عن شيخهم المبارك أن يكون
مشعوذا ، أو دجالا ..! وتحمسوا ..! فاستنفر بعضهم بعضا .. وانطلقوا الى
الفتى يسألونه ...

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قال الفتى فى ثقة وهدهو .. :

– اذا أغمى على أحدكم ، وتشنجت أعصابه ، واضطربت أطرافه على
الارض ، فاعلموا أن ذلك مرض عصبى .. لا يعالجه إلا طبيب خاص ..

التقت نظراتهم فى أسف ويأس ..! وهبوا بالانصراف عنه ؛ فارتفع
صوته :

– أما الكنز فهو فى هذه الارض حقا .

فالتفتوا اليه جميعا ، ونطقوا بصوت واحد :

– فى هذه الارض ؟!

– نعم .

– واين هو ؟!

- فى كل شبر منها .

رفع أحدهم يده مهددا :

- لا تسخر بنا . وإلا ..

فأمسكه زملاؤه .. وصاح الفتى :

- لا .. لا .. يا جماعة !.. معاذ الله أن أسخر بأحد .. أرجوكم افهمونى !..

- وكيف نفهمك وأنت تخاطبنا بلغة لا تفهم ..؟!

- الامر بسيط جدا .. اخذموا كل شبر فى الارض وسترون كيف تتحول
هذه البيداء القاحلة وارفة الظلال .

فهتف بعضهم :

- جنة !.. أجننت أيها الفتى !..! الارض تصبح جنة !..! الجنة فى
السماء !..! الجنة فى السماء !..!

وسمع الشيخ الضجة فاقبل تمايل فى جنة فضفاضة ، تتدل من عنقه
مسبحة كبيرة ، وتتنصب على رأسه عمامة خضراء ، ويمسك بيده عصا ،
يفرسها فى الارض كلما أبدل الخطو .. فافسحوا له المجلس ؛ فجلس بجانب
الفتى .. وأنصت الجميع .. فرفع الشيخ رأسه ، وأجال النظر فى الحاضرين ..
ثم صوبه للفتى قائلا :

- ماذا تعرف عنا أيها الفتى ؟

- اعرف أنكم فى حاجة لمعرفة دينكم ودنياكم .

- أما ديننا فنحن أعلم به منك . وأما دنيانا فانت لا تعرف عنها شيئا ..
وان كنت تزعم أنك عارف ... فأجبنى عن أبسط شئ، يعرفه الصغير والكبير
فى هذه البيداء ..

- وما هو ؟

أمسك الشيخ بعصاه .. ورسم بها على الارض دوائر ثلاث .. ثم قال :

- ما هذه ؟

نظر الفتى فى وجوه الحاضرين ..! وابتسم قائلا ..! :

- هذه دوائر ..!

ضبط الشيخ على شفثيه .. فانفلت من بينهما صوت متقطع اثار الضجة فى الجالسين وأغرقهم فى الضحك ..!

ثم قال :

- هذه دواوير .. دواوير .. أيها الفتى الجاهل ..!

والتفت اليهم :

- ألم أقل لكم : إنه جاهل ؟!

ثم وضع عصاه على الدائرة الاولى .. وقال :

- هذا دوار أولاد سليمان ... اليس كذلك ؟

صاح الجميع :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- إيه .. صحيح .. إيه صحيح ..

- وهذا الذى اكبر منه بقليل .. دوار أولاد حمد .

صاحت جماعة منهم :

- إيه .. دوار أولاد حمد دوارنا احنا .

- أما هذا الذى هو اكبر منهما .. دوارى أنا .. دوار الشيخ حمدان قاهر

الانس والجان ..

وقهقه فى وجه الفتى .. فاطرق وجلبة الحاضرين تخنق أنفاسه .. وقهقهه

الشيخ تصم أذنيه .. ثم رفع رأسه على صوت أحدهم يخاطبه :

- اسمع أيها الفتى ..! لقد أحبيناك ، وأكرمناك ، وأحببنا ظرفك

وأدبك ..! لكن جئت بما يفرق بيننا.. ويقطع الصلة بما نشأنا عليه.. فارحل

سالما كما جئت ..!!

- إنى راحل .. لقد انتهت التجربة .. لقد انتهت التجربة !..

ثم قال فى نفسه :

« .. سأعود اليكم مهما طال الزمان !.. »

ونهض يجمع أمتعته .. ويهوى نفسه للسفر .. والشيخ حمدان يسخر منه .. والقوم يصخبون .. ويهتفون :

- عاش الشيخ حمدان !.. عاش الشيخ حمدان !..

ثم ركب دابته وصوت شيخه يتردد فى أذنيه :

« .. ارحل الى العاصمة ! إن فى جامع الزيتونة شيوفا أفاضل .. اجلس اليهم تزدد علما ! »

وارتحل .



http://Archivebeta.Sakhril.com

لم تمح السنون - التى قضاها فى العاصمة - صورة الشيخ حمدان من ذاكرته !.. رآه فى أكثر من مسألة فقهية .. رآه فى المترجمات .. وفى الكتب المطولة .. وطالت إقامته !.. فتنوعت علاقاته بالناس .. وتعرف على نماذج كثيرة منهم .. ولم ير الشيخ حمدان من بينهم ...! فازداد انشغالا به ، وبمجتمعه !..

وشعر باحساس لذيق يغمره .. فينتشى !.. لقد أصبح إنسانا آخر !.. يتبسّم لنفسه ! وهو يمشى مشية المشائخ .. ويلبس لباسهم .. ويجلس جلوسهم فى الجامع ، ومن حوله الناس ، يشرح لهم ما غمض من أمور دينهم ودنياهم ...

واشتد شوقه الى مسقط رأسه ؛ فقرر عزمه على العودة ...

وفى الطريق .. مر بالدواوير ، فرآه أهلها . وتعلقت أبصارهم به .. كان يرفل فى ثياب نظيفة بيضاء .. يمشى بثقة وهدوء .. ترسم على شفتيه ابتسامة مشرقة ، تضيئ عليه مهابة أهل العلم ، والتقوى ..

وأدركته صلاة الجمعة ، فجلس معهم ينتظر خطبة الامام .. ودخل الامام يتوكأ على عصا ... ثم صعد على سدة ، وأخرج ورقة من جيبه ، واستعاذ وبسمل ثم حمد الله وشكره ..

— إنه هو .. الشيخ حمدان !

قالها بصوت مسموع ! فالتفت اليه من كان قريبا منه .. وهم بالانصراف .. ثم عدل وصوت الامام حمدان يرتعش فى أذنه :

« .. ايها الناس .. إن ما فات .. فات .. وما هو .. آت .. آت .. عليكم بأنفسكم فاصلحوها .. وببركة شيخكم زكوها .. واحذروا أن تظن بكم الظنون فتكفروا بما جاء به أجدادكم .. فيغضب الله عليكم .. وينتقم منكم المارد الأكبر .. »

« .. عباد الله .. الخير .. الخير فى البركة والصلاح .. والتوبة والفلاح .. شدوا على عاداتكم بالنواذج ، فمن حافظ عليها فاز بالدين والآخره . ومن تغافل عنها ضيع دينه ودنياه .. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. »

ونطق بالحديث محرفا . وأوله تأويلا خاطئا ! فانتفض الرجل ، واستغفر . ولم يطلق صبرا ! فتأهب للوقوف معارضا والشيخ يتعثر فى قراءته . والجالسون يميلون برؤوسهم تأثرا وخشوعا ..! فشد بالارض ، وتركزت عيناه على عصا الشيخ ..! فارتسمت أمامه الدوائر الثلاثة ! فأغمض عينيه وصوت حمدان ينصب فى أذنيه وقرا !

وانتهت خطبة الجمعة . وأقيمت الصلاة ، فقام مع الجماعة يصلى ..

وقبل أن ينصرف الجميع ، وقف يطلب من الحاضرين أن ينصتوا له ؛ فاشرابت الأعناق اليه ، فقال :

« ايها الناس أنا رجل غريب ، أدركتني صلاة الجمعة عندكم ! فضليت معكم خلف هذا الشيخ المبارك . وقد سمعت ما سمعتم من فصيح قوله . وسداد

رايه ! فتأثرت أشد التأثر . لم أسمع بمثل هذه النصائح قط . ولم أر أعظم ولا أجل من هذا الشيخ المبارك . وإنى أهنئكم بعلمه وتقواه ، ففى عصرنا هذا الذى انقطعت فيه البركة ، يرزقكم الله بهذا الشيخ المبارك . نعم إنه مبارك . ومن لا يعرف الشيخ حمدان .. لقد طبقت شهرته الآفاق .. وقد سمعت بكراماته فى المدن والقرى . وقد قرأت فيما قرأت .. أن ساعة من يوم الجمعة فى عامنا هذا ، تفتح فيها أبواب السماء لشيخ تنطبق صفاته على شيخكم هذا .. النجاة .. النجاة .. إن فاز ببقاءه .. فالتفوا حوله ! إن من مس ثوبه غفر له ما تقدم من ذنبه . ومن قبل رأسه نال ما تمنى ومن طفر بشعرة من لحيته دخل الجنة . فاعتنوا هذه الساعة المباركة قبل أن تفوتكم : إنها لن تتكرر بعد اليوم .. »

دب الهرج فيهم ، واختلطت أصواتهم . وترددت جماعة منهم .. فأقبل بعضهم يسأله :

« .. من أنت أيها الغريب ؟ من أين أتيت ؟ ومن أعلمك بهذا ؟ .. »

فشعر بضيق الفرصة ! فصاح فيهم :

— لا تضيعوا هذه الفرصة ! إنها ساعة فقط . لا تترددوا فتندموا !
أسرعوا .. هانا ذا أقبل رأسه .. !!
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تقدم الى الشيخ يقبل رأسه .. فاندفع بعضهم ، وانكبوا على الشيخ ينتفون لحيته وهو يصيح معارضا .. ويستغيث : « النجدة .. لا .. لست مباركاً .. اتركونى .. إنها حيلة .. ! »

والرجل يحثهم .. ويشجعهم ..

ولما تخضبت لحيته بالدم .. منعهم عنه صائحا :

— كفى .. كفى ..! لقد انتهى الوقت ومضت الساعة لا تمسوه فتهلكوا .. إنها ساعة فقط .. !

فابتعدوا .. وأمرهم بالانصراف عنه فانصرفوا تاركين شيخهم له .. !

بكى حمدان .. !

— لقد أهلكتنى أيها الرجل ..! لقد أهلكتنى ..! من أنت ؟ وماذا فعلت لك ؟ قل .. من أنت ؟ !

ابتسم الرجل ساخرا :

– من أنا ؟! ألم تعرفنى يا حمدان ؟!

– وجهك ليس غريبا عنى !.. ولكن ما اسمك ؟!

– أنا الفتى الفر الذى نكلت به يا حمدان !.. يا صاحب السلطان على
الانس والجان !.. اذكر يوم أن أتيتكم لاغير ما بأنفسكم : فاثرت على هؤلاء
البسطاء !.. وطردتونى مهموما !.. ها أنا ذا بتفس السلاح الذى حاربتنى به
أنكل بك !.. ألا تتمعظ يا هذا ؟!

نكس الشيخ رأسه والرجل يأمره :

– عد الى خيمتك !.. واتق الله فى عباده !..

وانصرف ...

عبد العزيز فاخت

II – 3 – 1979



« أعمدة من دخان »

صدرت عن شركة « صفاء للنشر والتوزيع والصحافة » أول
مجموعة قصصية للأنسة نافلة ذهب بعنوان : « أعمدة من دخان »

اطلبوها من المكتبات بسعر : 700 مليم تونسى

انطباعات من قصر صبة

(2)

« النقد هو الانوار الكشافاة التي تضيء الطريق للافكار
الصحيحة ، وتساعد على انتشارها ووصولها الى الناس .. »

9 - الحب والمطر لمحمد بن عاشور (12)

هذه ليست قصة بل مجرد خواطر ، ولنا عليها كثير من الاحترازات فهذا
انسان فشل في حبه فنقم . ورغم وجود بعض الفقرات الطيبة فيها فان اغلب
الفقرات غير طيب .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

فمحمد عاشور أراد لعمله ان يكون هادفا ، فتقدم بنقد سياسي اجتماعي .
نقد البلدية والوحل والمطر وانقطاع التيار الكهربائي وتحدث عن حرية الفكر
الحقيقية ، فاستعمل كلمات جارحة فتحدث عن الحقيقة المرة وعن الجهل
والصمت وعن الجوع والواقع المشؤوم . ولكن رغم هذا فان هذه الكتابة فاقدة

(12) انظر مجلة الفكر - السنة 19 - عدد 3 - ديسمبر 1973 ص 125 - باب
ردود سريعة حول هذه القصة . وقد بينت الفكر سبب رفضها لنشر
هذه القصة . محمد بن عاشور قصاص ، اصيل منزل تميم ، متحصل
على جائزة بلدية تونس عن قصته في البحث عن الاوراق - الدار
التونسية للنشر 1974 - 82 صفحة . له انتاج كثير ، نشره بالحياة
عدد 12 - وبالفكر جانفي 1974 ص 94 . والثقافة العربية (ليبيا)
نوفمبر 1977 ص 152 وعدد 3 - 1977 ص 126 . ومجلة المرأة مارس
وأوت وأكتوبر 1977 صفحات 49 و 54 و 62 الخ ...

للجاذبية ، لا تبتعث في النفس أحاسيس مثل الفرح أو الغضب رغم التشاؤم ونقد الوضع . ويغلب على هذا النوع من الكتابة طابع التقليد الواضح فيذكرنا بكتابة حسن نصر في « ليالي المطر » وهو يكثر من الجمل الاسمية .. والكاتب كآني به استعار صوراً من الشبابي ، في قصيده : **النبي المجهول** ، فجعل نثرنا ما كتبه الشبابي شعراً .

وصراحة الكاتب قد تنفر القراء منه لان العربي يميل بطبعه وأغلب الاحيان لا الى الرمزية المطلقة ولا الى الصراحة المكشوفة ولكن الى التلميح الذكي . وصور الكاتب ليست فنية اذ يقول مثلاً : « مطارات جسمية » ، « احجار كالهاون » واسلوبه قريب من أسلوب الجرائد « الطوارئ » ، « انبتات » الخ فلا نظن أن الكاتب كتب عن احساس وفن .

10 - نجيفة كالجوع الاصفر لمحمد العربي السنوسي (13)

هذه قصة بسيطة ، تظهر ان صاحبها ناشئ، ولكن له امكانيات . وقد طرقت موضوعاً معاشاً في مجتمعنا . وهو موضوع الاجيال والقطيعة بينها ، موضوع الشباب والكحول . وصراع القيم بين المرأة المثالية في نظر العربي والمرأة المثالية في نظر الاوروبي وقدم نظرة نقدية من خلال سيرة فتاة جامعية . وقد ألح صاحب القصة على الجنس بواقعية متناهية فاستعمل الفاظاً قبيحة وقدم افكاراً غير اخلاقية وظهر عري الفتاة ، فهو اراد - اذن - ان يبرز الحقائق عارية ! ونفهم ان الكاتب وشباب عصرنا هذا يعانون من أزمة نفسية . واثت القصة بتداخل فقراتها وتعدد مواقفها وسردها البسيط وكلامها المبعثر تعكس نفسية الشباب كقرد أكثر من نفسية المجتمع ككل . فالكاتب اراد أن يبرز كبته والاباحية والعري أمور اخلاقية وقد يجذبها البعض ولكن الادب ليس الاخلاق والادب العربي من الامتناع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي الى احسان عبد القدوساً معاصرنا به مثل هذه الاباحية .

ولكن بسط هذا الموضوع يتطلب حكمة وعمقا تفتقد اليهما هذه المحاولة .

(13) هذا القاص لم اعثر له على أي شيء منشور .

II - الجندى المجهول لتوفيق الجبالي (14)

هذه قصة قد لا تفهم من قراءة واحدة وسريعة . ولذلك لا بد من الوقوف عندها وقراءتها بتمعن وتأن . فهي تسلك مسلك الرمزية لا شك في ذلك . فمن أول القصة يحملنا الكاتب الى عالم غريب . فهل نجح فيما يرمى اليه برموزه ؟ بادىء ذى بدء ، لا بد من الاتفاق حول مفهوم الرمزية . اذ اخاف ان تلخص رمزية القصة في الرفض الاوتوماتيكي لمفهوم القصة القديم . أو فسى مجرد تقابل الكلمات وتضادها فى مستوى اللغة مثل استعمال الكاتب : « برقية غير مستعجلة او غير ضرورية » وبكلمة : هل تتناقض الرمزية مع الواقع أم هى توصلنا الى الواقع ؟ وهل هدف الرمز ان يقنعنا بنظرية اللعب فى القصة وفى الحياة ، فلا نفهم .. او لا نفهم بسهولة .. وتكون الوسيلة لذلك : الهذيان وتساوى القيم والتشكيك فى جدواها وتقلص دور الشخص فى الحياة وفى ارادة الحياة . فيكون التداخل والغموض المقصود فى القصة ؟ وهل هدف الرمز الدفع الى تذبذب الافكار دفعا ؟

لماذا ينحو كاتب ما الى المذهب الرمزي فى الادب ؟ فهل الغموض هدف فى حد ذاته ؟ أم ان الكاتب - أى كاتب - هدفه ايجاد افكاره للقراء ؟ ولكن باى طريقة ؟ وكيف يقع استنتاج الافكار - عملية أم غيرها - من القصص الرمزي ؟ وهل هدف الرمز الدفع الى تذبذب الافكار دفعا ؟

نعم لن نستطيع هنا الاجابة عن كل هذه الاسئلة وليس ذلك مقصدي .

فالكاتب - أى كاتب - والكاتب الرمزي بالخصوص لا يكتب لنفسه ولاعماق نفسه ، انما يكتب وغايته اشراك القارئ فى خلق القصة وتصوره لوقائعها حسب ظروفه الشخصية . لذلك فنحن نرى الكاتب يظهر بمظهر

(14) هو استاذ بالمعهد القومى للمسرح بتونس - له عدة اقصيص نشرت بقصص منها : تجربة رقم (1) قصص عدد 33 جويلية 1976 ص 88 وهى عبارة عن محاوراة بين آدم وحواء . ومتى تحفر القبور ؟ قصص عدد 6 جانفى 1968 ص 103 الى 105 . ومصدر الالهام قصص عدد 10 ص 120 الى ص 123 . الخ .

التواضع جدا ، فلا هو يريد أن يفرض رأيا أو تأويلا بل قد يصل بالبعض أن يدفع القارىء الى التشكك فى قيمة ما يقرأ !!

هذه هى الافكار التى راودتنى وانا اقرا قصة **الجندى المجهول** اول مرة ، وبعد القراءة الثانية شعرت بان الكاتب يريد معالجة شيء هام . فالقصة لها معان عدة يريد ان يدفعها الكاتب للقارىء فنحن نشعر ان الكاتب يظهر لنا حاجتنا وحاجة المجتمع الى البطل ، الى الخلاق الذى لا ينوب فى الماضى اذ الماضى لديه يصبح قدرة على الخلق والابداع .

فموضوع قصتنا هذه طيب : هو **الجندى المجهول** ، رمز التضحيات والبطولة . فنحن ازاء قبر وازاء شخصية و أم دجاجة ، . هى أم البطل الذى ربما كان جباناً كالـدجاج ولكنه صار رمز الشجاعة – هذه الام فقدت وحيدها ، لم تبق لها الا دجاجة ؟! هذا الجندى بطل بالنسبة لكافة أفراد الشعب وهو بطل فى عينى أمه التكللى المكلمة ، وهو بطلها وحدها . لقد صارت مجنونة تهذى بعد فقد ابنها ، هى تستعيد ذكرياتها مع ولدها ، وهى امرأة ساذجة بسيطة من افراد الشعب (مفردات يومية .. بل .. السجارة الاولى .. برقية مستعجلة .. شتم .. كلمات مبتذلة .. وجمل عامة .) وهناك مستوى ثان من الهذيان بجانب هذيان الذكريات المتقطع هذا المستوى هو تخيلها حياتها وكيف كانت تكون لو لم يموت ابنها .

وفى ثنايا القصة نفقد الام ويظهر لنا الكاتب مباشرة فى نوع من الخاتمة حيث يسخر من بعض الافكار المسبقة ومن بعض المفاهيم ويظهر جلليا تصارع القيم .

ومعظم القصة اذن : مناجاة الام لابنها الفقيد – وهذا الابن له شخصيته و انه رجل ، أنا أفهمه .. أنت المالك الوحيد للذات .. ، ويشير الكاتب فكرة القضاء والقدر و جبينه رضعته فيه أغرب الاقدار .. ،

وهذه الافكار قدمها الكاتب بقوالب أجهد نفسه فى نحتها وجعل مركبة تركيبا .. وكأنها قدت من الحجر . فأسلوب الجبالي هنا أسلوب جديد ، ممتاز جدا . ونظرة الكاتب نظرة تقدمية وموقفه من الماضى موقف خلاق . وهنا

قد نضع محاولة الكاتب « تأويل القرآن » أو ما أسميه فهما عصريا وشخصيا للمشاكل الأساسية التي تعرض لها القرآن . وهذا مما يجعل بعضهم يقارن بين هذه القصة وقصة الإنسان الصغير لعز الدين المدني .

12 - كلاب حينما لمنجية الصغير (15)

هذا العمل لا هو قصة ولا أقصوصة رغم وجود راو . بل هي صورة تمددت

وطالت فدفعت بالكاتبة الى صور أخرى وهكذا .. نعم لا وجود هنا لعناصر القصة الأساسية - هي خاطرة أو شيء من هذا القبيل حول القرن العشرين والشباب (فتيانا وفتيات) وهي خاطرة مظلمة قاتمة .

فالكاتبة تحاول في أول عملها - مستعملة موسيقى هادئة عادية - تصوير البيئة والكلاب والمزابل . هي تستعمل الحواس وتنتقل من حاسة الى أخرى ولكنها تطنب في ذلك كثيرا . في البدء تعتمد على حاسة الصوت مصورة الضوضاء ثم يلفت نظرها أحياء أخرى مرئية عندما تفتح النافذة .

قد تكون الكاتبة ترمي من وراء استعمالها للكلمات المزابل والكلاب الى الحياة ونوع من الشباب المتهاك على اللذة ، نوع من البشر المتهاك على الحياة باغراءاتها وروائحها الكثيرة ؟ والاقتران بين الكلاب قد يذكرنا بالحروب ؟ ولكن هذه المقاصد غير واضحة .. فالكلاب فعلا كانت مكبوتة ولما تحصلت على حريتها أفرطت فيها .. فإذا بالحياة قشور .. مع بقاء الجوع والنهم !!

ولكن المرأة في هذه المحاولة لم تعبر عن مواقف معينة ، فلا بد أن تكون المرأة أكثر ايجابية .

واسلوب القاصة يمتاز بجمال الكلمات الى حد التكلف .. ونحن نتساءل : ألا يدل اقحام بعض الكلمات (مثل إعادة كلمة : فرقة ..) على عجز .

(15) هي أستاذة عربية - أصيلة منزل تميم - ليس لها إنتاج منشور .

فالكلمات هنا تكال كيلا فنبتعد عن الدقة . وهذا عيب اطلاق العنان للقلم . فلم يقع حصر الموضوع كما ينبغي ويخرج القارىء بدون نتيجة ! فهل نستسيغ تشبيه الشباب بالكلاب ؟ وبكلمة موجزة ، فرغم الاحداث ووجود الحركة - أحيانا فى هذه المحاولة - فان وحدة التأليف غير ظاهرة خاصة فى التعبير عن الفكرة الرئيسية . مع طغيان الخطابة على الاسلوب .. مما يؤدى بالكتابة الى عدم الانسجام مع الاحداث القصصية ..

13 - صورتان لمحمد المختار العياط (16)

هى محاولة لا أكثر ولا أقل من مبتدىء . أراد أن يصور الفقر وانعكاساته على التلميذ . فالموضوع معروف بسيط ، عادى ، وينقصه الطيخ والهضم والعمق . وينقص المحاولة الاسلوب القصصى - وقد حاول أن يستعمل الكاتب التهكم والتلميح فى عرضه لنا مأساته العميقة . وهذا عنصر ايجابى لو يقع استغلاله كما ينبغي لكان للمحاولة شأن آخر . ولكن هناك كثير من الكليشيات مقحمة بدون موضوعية وبدون حبك .

14 - فيل الباي للمبروك السوسى (17)

هى قصة مستوحاة من الاقاصيص الشعبية ، أراد الكاتب أن يصوغها صياغة بالعربية الفصحى . وقد ينسبها بعضهم لمهد الصادق باى وقد يعوض الفيل بجمل .

وهى تذكرنا بقصة للمنجى الشملى بعنوان : **الفيل** وتذكرنا فى بعض جوانبها الاخرى برواية الكاتب الفرنسى : يونسكو : **وحيد القرن** ، ذلك الحيوان الذى يعيش حرا فى قرية ، يعبت بها ويعبت فيها فسادا ، ولكن الابعاد التى قصدها السوسى غير ما قصده الكاتب الفرنسى .

هناك ملاحظة أولى وهى ان السوسى استعمل الاسقاط فى زمننا الحاضر فنجد كلمات عصرية رغم اطار القصة الزمنى ، فالباى مثلا يستعمل كلمة

(16) هذا اخ من عقارب ، لم اعثر له على شىء منشور .

(17) انظر ملحوظة عدد 4 من هذا المقال واقصوصة المبروك السوسى الثانية : **الاب سليمان** ورأينا فيها .

« مواطن » وهي كلمة لم تكن مستعملة في ذلك الوقت ، اذ كانت تستعمل عوضها كلمة « الرعية » ومفهوم هذه الكلمة الاخيرة : المملوك للباي والذي ليست له كرامة ، بينما المواطن يمتاز ولو نظريا بحريته وكرامته وحقوقه وهذا يذكرنا بكتاب علي البلهوان : **مواطنون ، لا رعايا .**

والسؤال المطروح هو : كيف يمكن للقصاص استغلال الاساطير والخرافات الشعبية ؟ ان هذا الاستغلال ليس سهلا كما قد يبدو . لا بد بادىء ذي بدء أن يكون المقصد واضحا والرمز محكم الاستعمال . وهذا شيء صعب . ولا بد من ترك الاستطراد المبالغ فيه في القصص الشعبي والتركيز على الفكرة الرئيسية واستغلالها ، والتعمق فيها من جوانبها المتعددة . كذلك يجب عدم السقوط في التكلف المجاني وعدم المبالغة في استعمال الجانب الفولكلوري (الفولكلورية برزت مثلا في قصة السوسى في اعطائه القابا لابطال قصته وبالح في ذلك : المخ .. الخ .. يستطرد السوسى ويطيل اذ يذكر لكل بطل من أبطال قصته تاريخا فولكلوريا تقيسا ، مضحكا ..)

وفي استغلال هذا الجانب من التراث يجب كذلك عدم السقوط في المواقف الخطابية والتقريرية على حساب الحوار ، والحذر في استعمال انقلاب المواقف ، فالجانب السحري الاوتوماتيكي ، الغيبي غير المنطقي في القصص الشعبي يجب حصره وعدم الاكثار منه وحسن استغلاله ، فالاحمرة مثلا في القصة كانت تأكل . ثم أصبحت كلها تمارس العملية الجنسية .. هكذا بسرعة عجيبة نادرة !! .. فلا بد من انسجام ولو قليل بين الاحداث ..

وقد ألح الكاتب على الناحية الجنسية ، فالفيل يفتش عن فيلة ، وهذه حيلة اهتمدى اليها زعيم المظاهرة لينجو من عقاب الباى .. سكن الانسان وتحرك الحيوان . فهل ادخال مسألة الجنس للسخرية من الانسان ؟ اذ اصبح الحيوان يقوم باعماله الجنسية أمام مرأى من الجميع وأمام قصر الباى ؟!

وهناك تناقض خطير في مواقف الشخصيات : انظر كلام البطل مع الباش شاوش والقبض الذي يتم بسرعة !! وعم على الذي يظهر ترددا في مسألة لا تستحق ذلك !! ولماذا لا يصمد الثوار في ثورتهم ويعالجون مشكلتهم بصبر ؟ هل يعمل ذلك ان الابطال ليسوا من اوساط مثقفة وليست لهم مبادئ

بل هم أناس بسطاء محطون ؟؟ هذه نظرة فيها كثير من الاحتقار لافراد الشعب من الطبقات الكادحة . وهي نظرة سفهتها حقائق التاريخ الثابتة !! هي نظرة متسرعة ، خاطئة ، متحيرة ، ظالمة !! ..

مع هذه الملاحظات يبقى أن موضوع القصة طيب طريف ، يعالج قضية انسانية هامة حية وخصبة رغم عدم اتفاقنا مع ما ذهب اليه الكاتب من فشل للثورة في آخر الاقصوصة ، رغم أن تلك الخاتمة هي خاتمة الاسطورة اذ كان في امكانه تغييرها ودفع عجلة التقدم وهكذا يكون التجدد ، ولم لا ؟ (الخضار تاجر والتاجر مستغل - وطبعاً لا تنجح ثورة قائدها له مصالح ومطامح خاصة) ..

ثم هو لا يذكر الاحمرة وكأنه ينكل بالانسان . ولا ندرى سر نغمته على بنى جنسه ، فالنقمة شعور غير خلاق ؛ قد لا يورث الا التعقيد النفسى والجذب .

ونحن نوافق الكاتب مع هذا فيما ذهب اليه من ارقام نفسه اقحاماً فى القصة وتعليقه من وجهة نظره ككاتب على أحداثها خلال تسلسل الاحداث وكأنه يلعب دور الراوى ، فهذا التدخل مقبول حسب رأينا بالخصوص فى هذا النوع من الادب المستقى من التراث الشعبى . ومع هذا فنحن نرى فى هذا المنحى تأثر مبروك السوسى بما تعود كتابته من مقالات نقدية نثرية لا تلمح فيها ولا اشارات بل تمديد وتحليل وتعليل .

15 - اذان الفجر لمحمود طرشونة (18)

(18) أستاذ فى كلية الاداب والعلوم الانسانية بتونس له مجموعة قصصية : **نوافذ** (الدار التونسية للنشر ، 1977) ، درس وحقق حكايات « **مائة ليلة وليلة** » (الدار العربية للكتاب) وله **الادب المريد فى مؤلفات السعدى** - الدار التونسية للنشر - ديسمبر 1978 - 193 صفحة . ابتداء من هنا ، ستكون هذه الانطباعات انطلاقا مما سجلته شخصيا فى مسوداتي عند حضوري بالنادى الثقافى ابو القاسم الشاذلى لجلسات نادى القصة .

هذه أقصوصة تتحدث عن هلع سكان حى من اذان الفجر بمضخمت
الاصوات العصرية القوية وكيف ينزعج النائم ويذهب عنه النوم دون أن
يكون مستعد لاداء الصلاة ، فهو تارك لها .. أو غير مواظب عليها . فينقل لنا
الكاتب عواجس النائم محاولا اظهار التناقض الحضارى الذى نعيش فيه
انطلاقا من تناقض رجال الدين أنفسهم . فالتائم ينتقل فجأة من عالم الوهم
والسكينة والطمأنينة ، الى عالم مهول تدفعه اليه دفعا هذه « الآلة المزعجة » .
واسلوب الكاتب تصويرى تقريرى يذكرنى بأسلوب الخطب الجمعية .

والكاتب يتساءل : من المسؤول فى هذا البلد حتى يقصد لايقاف هذا الاذان
لان أغلب المتساكنين لا ينهضون للصلاة صباحا .. هل المسؤول هو نائب
مجلس الامة ؟ أم رئيس مركز الحرس ؟ ..

ويجد البطل حلا هو اقناع الناس واحدا واحدا ، لان الارغام ليس بحل
وخصوصا فى مشكل ينصل بالايام : انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي
من يشاء .

والسؤال الذى أطرحه : ما هو ياترى موقف الكاتب من هذا المشكل
« البسيط » ؟ أهو موقف بطل الأقصوصة <http://www.kutub.net> ؟ هو يستعمل كلمتان : « نصر
وبشر » ، ان هذا رمز واضح .

16 - من أيام عثمان : يوم العجاج للطيب العشاش (19)

وهذا النوع اما ان يعجبك فتقول : هذا تحفة !! بلاغة وانشاء ان كنت من
انصار نوع معين من الكتابة ، واما ان تقول : ان الصناعة طفت على هذه
الكتابة أكثر من اللازم فاقسدت المحتوى وغطته وحجبته . ويمكن أن نعيد
عنا ما قاله فيها عمر بن سالم فى مقاله المذكور : « هذه صورة قصصية لم

(19) أستاذ الادب العربى بدار المعلمين العليا بتونس . نشرت هذه الاقصوصة
بمجلة قصص - عدد 2 - ص 69 و 70 . انظر حولها ما كتبه عمر بن
سالم : أربع سنوات من حياة مجلة قصص - مجلة قصص عدد 18 -
1971 ص 110 و 116 .

تستوف شروط الشكل الفني . ومعى خالية بالخصوص من لحظة التنوير التى يترقبها القارئ، فى مثل هذه القصص القصيرة - الكلاسيكية ،

17 - لوحة لعبد الواحد براهم (20)

ان الكاتب حاول هنا ان يكون مجرد متفرج . وقد اكتفى الكاتب بإشارة خفية الى البطل (اشارة الى نفسه ؟) . ان الموضوع هو فوات ميعاد ما . وقد حاول ان يصور الكاتب المأساة التى تنجر عن ذلك . فنحن ازاء حياة خاصة بمشاكلها ومآسيها أبرزها الكاتب كما ينبغي وسط خضم الحياة اليومية . فيقدم لنا اولا الاطار ثم يبرز فيه مشاكل حياة خاصة .

فهل هذه محاولة رمزية ؟ أم هى مجرد لوحة كما يدل عليها عنوانها؟ مجرد انطباعات وخواطر ؟ اننا نلاحظ مع هذا دعم تركيز الكاتب على محتوى لوحته ، فالقارئ يبقى على عطشه ، ينتظر شيئاً ما ، قد لا يفهم القارئ العادى شيئاً !! ولا بد هنا من التساؤل عن حدود الاقصوصة وفنياتها . فهل كل ما يقال بأسلوب معين وبأسلوب جميل يعتبر اقصوصة ؟ لا نظن ذلك رغم اختلاف التعاريف حول الاقصوصة وتقنياتها . ثم نحن نلاحظ أن الحوار فى هذه اللوحة مفقود بين المرأة والرجل .. ويستعمل الكاتب كلمة : تين مسكر ؟ فهل هى « البوخة » ؟ أم ماذا ؟ ويقول براهم فيما يقول : الآلة يجب ان تقدس ؟ وهذا عجيب . فلعلة اراد أن يقول عكس ذلك ..

وقد علق على هذه الاقصوصة عدد من الاصدقاء القصاص . وقد قرنت فى احدى جلسات نادى القصة (21) فلاحظوا كثرة استعمال النقط وهذه مبالغة

(20) قصاص اصيل بنزرت - فازت قصته باحدى الجوائز (مناسبة عيد الشهداء : 9 افريل) عمل سكرتير تحرير بمجلة **الفكر** - يشتغل الآن فى مشاريع خاصة . له عدة مجموعات قصصية منها : **هزبات بلاستيك**، له اقصوصة : **سفينة القمح** مجلة **قصص** عدد 18 - 1971 ص 11 الى ص 13 - انظر كذلك من نفس العدد صفحات 14 - 16 - 17 و 19 له ايضا اقصوصة بعنوان : **باب البحر** مجلة **قصص** عدد 2 ص 117 الى ص 121 (انظر مقال عمر بن سالم المذكور صفحات 109 و 116)

(21) هم الطيب العشاش ومحمد صالح الجابرى وعز الدين المدنى ويحيى محمد ومحمد التونسي والعروسي المطوى .

قد لا تكون مقبولة في النشر وان كان يقصد منها التدليل على البطء . وقد تقبل هذه الطريقة في كتابة الخواطر . ولاحظوا عدم الدقة في تركيب بعض الجمل وصعوبة فهم الرمز الذي استعمله الكاتب . ومن لا يفهم لا يمكنه ان يعجبه الشيء ، فالرمز لا بد ان يكون واضحا ، شفافا دقيقا وكأنه غير موجود؟! وان كانت أغلب الملاحظات شكلية فلا بد من محاولة النظر الى الاثر انطلاقا من الداخل حتى تقترب من فهمه اكثر ما يمكن ، فنرى محاولة الكاتب التمييز بين الخادع وبين الاصيل فهو اراد ان يوحي الينا بمحاولته ايجاد نموذج للجمال . ولكنه فشل وممر بازمة .

17 - عندما يأتي الفجر ليحيى محمد (22)

ان الكاتب يتحدث ببراعة عن كرنفال ، هذا الكرنفال المتكون من رقص وفرح . اننا نعلم في العادة ان الزنجي لا يستطيع مسك نفسه امام مشهد رقص . ولكن بطل القصة - رغم هذا - يمسك نفسه - لان « الكبار » يعثون بقيم الزنجي ، فهو يعيش مكبوتا في رقصه النافر منه ومكبوتا في حريته المفقودة .. وهو يحلم بانقلاب الكرنفال الى مسيرة .. وهذا الحلم العظيم لا يتحقق لانه عظيم ويؤثر علينا ، نحن القراء لصفة الاستحالة هذه التي تصاحبه . وانا اسجل هذا الشعور الكريم لتونسي افريقي ، كاتب ، يتأثر ويتحدث عن الزنوج في امريكا؟! فهذا شعور انساني . ونحن نوازي بين هذا الزنجي الطالب للمساواة ، وبين من عاش المذلة وتحرر وأمله بل يقينه كبير في وصول الزنجي الى مبتغاه ، أي الى الحق .

(22) قصاص له عدة مجاميع قصصية مثل : **نداء الفجر** (السدار التونسية للنشر) 1969 كتب دراسة عن الطاهر عمران (مجلة **قصص** عدد 13 - اكتوبر 1969 - ص 50 - 63) نشر فصولا روائية بعنوان **الجدار** (5 فصول) بالاعداد 12 الى 16 من مجلة : **قصص** نشر 9 قصص بالاعداد السبعة عشر الاولى من مجلة **قصص** : انظر مقال عمر بن سالم المذكور ص 115 - و ص 126 - ونشر دراسة : **مع وليد اخلاصي : قصص اعداد 41 و 42 ص 47 و 71** وقد نشرت اقصومته هذه بالعدد 2 من مجلة **قصص** ص 103 الى ص 112 .

لقد وضع عمر بن سالم هذه القصة مع أغلب قصص الهرقام تحت نزعة التغريب فى نزعة « الكتاب والشعراء » (يسجلون) مغامراتهم فى اوروبا وخاصة فى فرنسا (ويتظاهرون) باشباع غرائزهم الجنسية النهمة لسبب أو لآخر « ويضيف : « مسرح هذا المتغرب باريس حيث يتعرف الطلبة .. على فتيات اوروبا وشقراواتها بصفة خاصة .. وهذه النزعة ذات طابع اباحى مقصود .. وقصص الهرقام كلها تقريبا من هذا النوع وان اختلفت جنسيات الفتيات وامكنة الالتقاء بهن « وقصتنا هذه مكانها باريس اذن ، والفتاة لا جنسية لها « الا الشعر الاشقر » يقول الهرقام : « كأننى عبرت البحر لالتقى فجأة بعينيك والهت وراء الشعر الذى تستفيق منه الشمس كل يوم .. » (ص 71)

وهذه اللوحة أهى رسالة أم مناجاة ؟ يبدوها بالاسلوب المباشر : « عندما عرضت عليك أن نتفصح .. « وهذا الاسلوب معاب على صاحب هذه الكتابة الذى كان عليه أن يكون أكثر احياء .. وهو يتحدث عن مطعم صينى ويعرض وهو العربى الكريم .. وكأنه عربى الف ليلة وليلة - على صاحبه الذهاب للمطعم .. ويحدثنا عن الكسكسى وهذا الحديث فارغ من الاحياء ، يأتى بدون سابق انذار وفجأة بخلاف الاحاديث الأخرى عن العيد والقمر والكبش والشمعة الوحيدة .. وتقول هيلين : ان السعادة فى باريس وفى الحياة الغربية غير موجودة .. وهذا اهو تعليق مبتذل لكاتبنا لمعنى مجتر معروف أم ماذا ؟ وبإيجاز فالكاتب يحدثنا ويحدث صديقه عن اصحاب الشعور الطوال وعن الانهيار الاخلاقى ..

(23) نشر مقالات عديدة صحفية . وكان مراسل العمل الثقافى بباريس . نشر 4 قصص بمجلة قصص (الاعداد السبعة الاولى) انظر مقال عمر بن سالم المذكور ص 103 - 104 - 113 - 118 - 135 - 136 - نشرت قصته هذه التى نحن بصدها بقصص عدد 2 ص 71 الى 76

يعمل الهرقام بمنظمة العمل التابعة لجامعة الدول العربية

وهناك ملاحظة أخيرة وهي أن الكاتب عمد الى فقرة وكأنها مزادة ، محشوة حشوا لا تتماشى مع الاسلوب السلس الذى سبق هذه الفقرة وهي تلك التى نرى فيها الام تتلقى أطفالها بهذيانها وكذلك عندما يرجع بنا القاص الى ذكرياته عن الاطفال والطفولة . فلا بد من اعادة صياغتها واعادة ربطها بما سبقها وبما يأتى بعدها لان اللهجة تختلف فجأة وتغير .

20 - ورقة اليانصيب قصة فرسيا كلديرون ترجمة عمران النين (24)

لن أطيل الحديث حول هذه القصة المترجمة ، وإن كنت أتمنى أن يسبق كل قصة مترجمة التعريف ولو بايجاز بكاتبها ووضعها فى بلده وعصره وتحديد اتجاهه الادبى وقيمتها العالمية . والمتمنى هو ان تكون الترجمة عن الاصل ، أى مباشرة عن اللغة التى كتب فيها الاثر الادبى وهذا هو المطلوب . وهذا المطلوب قد يكون صعبا أغلب الاحيان . ولكن هذا لا يمنعنا من التحرى والضبط . (25)

(هذه الانطباعات سجلت فى شهر نوفمبر 1966)

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

يتبع

(24) نشرت هذه القصة المترجمة بالعدد 2 من مجلة قصص ، جانفى 1967 ص 113 الى ص 116 ونشر قصة أخرى مترجمة كذلك بالعدد الاول من مجلة قصص : انظر مقال : عمر بن سالم المذكور ص 98 .

(25) انظر مما ترجمناه من قصص : (أ) سيرجع آخر : ليزان كوجل مجلة قصص عدد 14 جانفى 1967 ص 113 الى ص 117 - (ب) اليد اليمنى لالكسندر سلجنتسين - نشرت بجريدة الصدى وكذلك بالعلم الثقافى (المغرب الاقصى) (ج) الكنيسة لاندري موروا نشرت بالقنفود (د) أجمل الابناء لموروا كذلك نشرت بالقنفود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نُشَاؤُ الْوَلَدِ فِي الْحَجَّةِ

١ - (لو اننى اغلقت النافذة فى وجهه) ..

احتار بارد الوجه فى الامر .. بأن خريف العمر على محياه .. غاب عن اليقظة حسه البشرى ، فنام حيث شاء له النوم . ولم يحس بشئ ، يطالبه باستخدام حواسه الخمسة على الأقل . إلا أنه فضل أن يبحث عن السر بعينيه .. بحث عنه فلم يجده .. كانت العاصفة فى بدايتها .. زوجته تولول فى باب العمارة ، وقد أحس بعويلها بين أضلاعه .. زمقيا بنظرة عابرة . ثم أعاد النظر بدقة .. (ملعونة .. إنها تود الحديث .. تنهد .. أصغى السمع ، لكن بكسل ، فاجاء - الحبابز - بالتحية .. إن خبره من النوع البلدى الجيد .. شاب فى مقتبل العمر .. وضعت هى الحبز فى القفة ، بينما تظاهر صاحبه بالغفوة . ثم رفع رأسه قليلا ليقول لصاحب الدار :

- قد لا آتيكم بالحبز غدا ..

صمت إبراهيم قليلا ، ثم تسأل :

- ولماذا ؟

- إن أزمة جديدة وقعت ..

- يا إلهى !! الاطفال لا يعرفون الأزمات .. هلم بالحبز غدا ، ودعك ..

- يبدو انك لا تصدق الخبر ..

ونظر بعذوبة فى وجه زوجة إبراهيم مودعا ، بينما ظلمت هى واجمة ، واقتربت منه قبل أن يغادر باب الشقة وقالت :

– ماذا أصابك ..؟

نطق على عجل :

– الذى أصاب غيرى يا ...

كان إبراهيم يصرخ فى وجه زوجته كالمجنون ، وقد اغلق النوافذ والابواب ، وأبعد عنه أطفاله ، وطفق يسألها : لماذا هذا الانعطاف ؟ هذه الاحبولة التى يلقاها فى الحى ؟ إنهم يتحدثون عنك ! عن علاقاتك ! لا أصدقهم .. حسنا .. من أصدق إذن ، إنك تخصين الحباذ بحس خاص .. لست أدرى .. لقد تغيرت ، وصوت العاصفة يطفو على السطح ، وإبراهيم ما انك ينعف زوجته الحسنة ، وتتسلى أفكاره أشياء عديدة ، غامضة بعض الشيء ، الناس !! أحاديثهم !! ماذا يقولون ؟ دعك من هذا الخلط يا سيد .. إنك بحاجة الى الراحة فى مثل هذا الوقت من آخر الليل ، احترم أطفالك ، دعهم ينامون ..

« .. حين فكرت – يا أبى بالموضوع – كنت أنا فى قمة الفوضى .. لقد ساءت حالتى فى الدراسة ، لأننى مضطرة أن أتترك ذاكرتى تمر بين المسامير المنزلية ... ما من أحد يقار يا أبى .. معك ألف حق .. هكذا يا أبى .. إنى أصارحك القول .. أمى بعيدة عنك اليوم .. لقد أصبحت تكرهك ، لو أن الوقت الذى تضيعانه فى الأمور التافهة تتفقدان فيه على إنهاء العاصفة كان أجدى ... » .

2 – ترك إبراهيم أفكاره ، وراح يمسح العرق من وجهه ، محاولا زرع الأمل من جديد ، (من أجلهم ؟) خرج من المنزل فى أول الصباح كعادته . أما الشقراء الممتلئة فقد ظلت تتشأب على الفراش ، بينما ظل الرجل يسير فى الشارع وفى عينيه جفاف ، إذن سأنسى كل شئ من أجلهم .. وعأوده الفيظ ، ان شيئا ما يكاد ينفجر فى ذاته .. عاد ثانية .. توقف عن التفكير .. ثم تسأل :

(أتترك النافذة مفتوحة ؟) .

أغمض عينيه ، ابتلع ريقه ، تقطع شريط الافكار من مخيخه ، وحاول أن يتفهم موقف ابنته ، وألقى نظرة على أطفاله ، إنها عتيقة تود منه الخضوع ، ولم يدر كيف يعبر عن طرافته كرجل ، نسي ذلك ، وإطفاله يقتربون منه أكثر .. لقد تذكر زوجته الأولى التي رحلت عنه ، وكانت وفيه ، ودعته ، وفي قلبها عقد كثيرة ، أما هذه ! فلسانها يذكره بلسان الأفعى التي لا تصادق أحدا ، أحد أطفاله يصارحه :

- مسكين أنت - يا أبى - أنت آخر من يعرف عن أمنا الحقائق ..

- لماذا أكون دائما فى آخر القافلة ، هل حظى الذى لا يفارقنى ؟

- أفكارك يا أبى هى كل وجودك .. لا تدحرج فكرة منها وسط الطريق .. إنك عظيم ولا تخلق إلا العظماء ..

- وهذه الحفارة . من أين ؟

- لا تسقط فى النهاية .. باسم الرجولة أطلب منك هذا يا أبى ..

- السقوط قضية احتمية يا ابنى ..

- لكن . أنا واحد من أطفالك الذين لا يؤدون لك السقوط ..

- أنت تعتبر القوة باقية الى ما تشاء ستعرف عندما تكبر ..

قال طفل آخر :

- لماذا لا تأتى لى بالحلوى يا أبى هذا اليوم ..

- وجدتتها على قارعة الطريق فخشيتها ، لانها وسخة ..

- ولماذا خلق الله الماء ؟

وقال غيره :

- لا أعرف أنك اشتريت لى بدلة جديدة منذ مدة .

- لأننى أعيش على القديم يا ابنى ..

(لو انك وضعت حدا لحيرتك ...)

★ ★ ★

3 - كثر البيع والشراء أمام باب العمارة المهجورة ،، الاسعار تتأرجح ..
شأنها في ذلك شأن مثيلاتها في كثير من أسواق الدنيا ، حسب اسلوب
العرض والطلب ، وسواء كانت النافذة مغلقة أو مفتوحة فالهواء يدخل حتى
من الشقوق ،، لماذا فعلت هذا ؟ أنت بالذات ، يوم أخذتها الى دنيا من التحرر
جديدة لها . أتذكرت ... بكل هدوء : هل تستطيع أن تفعل واحدة مثلها أكثر
مما فعلت زوجتك التي تقاعست عنها ، حتى عن أئمن واجب لديها ... لقد
أطلت شيخوختك قبل الاوان .. إنها تحب . وتحس . وتشتهى ..

(وحتى لو أحكمت غلق النافذة في وجهها) .

(حتى لو أشعرتها بخشونتك ، وتحديك) .

... انها فاعلة أكثر مما تتصور .. المشكلة معقدة كما صارحتك ابنتك ،
لأنك تصفى السمع وتسى الظن ، لماذا لا تتحكما في الامر قبل هذه المدة ..
هل الحياة لعبة ما ، لديكما ؟ ...

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhril.com

(لو أنك وضعت حدا لميزلتك هذه) .

مالك والبيع والشراء .. دع عنك هذه الهواجس .. لست مسؤولا عن
التناقضات المحيطة بك ، لم يكن هذا مجرد احتمال .

وأنت تصر على السقوط وتعتبره قضية حتمية للانسان . حتى ولو صنعته
بنفسك ، قد يصنع الانسان بنفسه أشياء مضادة .. زوجتك كانت دائما
جميلة ، تحب مواد التجميل الحديثة ، والفساتين القصيرة التي كنت أول من
اشتراها لها ، واليوم .. لا يعنى ذلك منك رجوعا الى الورا ، ما دامت متعلقة
بك ،، هي دائما تنتظر منك أن تتغير . ما دمت رجلا تعرف ما للنساء من
معجزات في قلب الازواضع في النفوس والقلوب وحتى المجتمعات . أنتجاهل ؟ ..
يا ابراهيم . إن افكارك التحررية معروفة ، حاول أن تعود للشريط الاول ،
منذ تعريفك لزوجتك بأصول الحرية .. إن من يعيش ليلة واحدة في الحرية
يكون كمن عاش العمر كله ، والحياة تتجدد بطبيعتها ، يا صديقي . وهذا
الخليط من المتناقضات التي تصنعها أنت وأنا والكل ، انما هو خليط طبيعي .

زوجتك كانت تحبك فعلا .. حسنا ! لا تصدق أقاويل الحى .. فالخى يعيش كله فى ظلام القفص الحديدى ، لتنتظر الى العمارة ، أو الدعارة كما تسميها أنت .. (حقا إنك تجتاز أزمة نفسية حادة) ما أسهل النظر عندك الى الحقد ، ونقش الوسواس ، ما دمت رجلا .. خذ الحياة كما جاءت .. بعيدا عن الاساءة .. عندما تغلق نوافذ منزلك ماذا تعنى ؟ وعندما تطلب من الجباز الا يعود ثانية لمنزلك ! وعندما ترى زوجتك تزدري بأوامرك ، ونصائحك ، وحتى ضجيجك أمام أطفالك !! .. معظمهم عرفوا أنك لم تعد تصلح للزوجية ، لقد قيل كلام وكلام !! وتذكرت زوجتك المرحومة ، وغابة العواصف التى أنت فيها الآن ..

يا ابراهيم . لقد جمعتك الصدفة بزوجتك قبل أن تختارها ، وحياتنا كلها صدفة يا صديقى .. عليك .. بل أمامك اختيارات عديدة ، لا أملى عليك واحدة منها اطلاقا ، أعرف أنك متحرر ، أكمل - يا أخى - المشوار على هذا النسق .. أنت تشبه القارب المهجور على الشاطئ، الذى تكسر شراعه فتركه صاحبه الى غير رجعة هل بإمكانك أن تصلح هذا القارب ، وتجرب الاقلاع ؟ ..

سوف أكون صريحا معك ما دام جسر الصداقة قائما بيننا ..

رب صدفة !!! ما أعظم غباثتى يا صديقى <http://A11hl.com>

(حتى ولو عدت اليك من جنة الفردوس . أنت لا تصدقنى) .

أنت بحاجة الى امتحانك ، ما هذا ؟ .. ماذا تفعل ؟؟

هل ستعود الى صراخك ، ومع هذا سأظل أصارحك ولو كرهت .. ولو رحلت .. ولو انتهيت .. لأنى اهتم بوجودك العظيم فى قلبى ..

يحيى محمد

أوت 1978

حياة بن الشيخ

المعلم الضال

أنت ميتة .. إذن أنت سعيدة !!

كحيوان برى تأكلين بشراسة ونهم . بحرق وسخف تضحكين .. بتفاهة وتهور تتباهين بما ليس لديك ، وبما يمكن أن يكون لديك . بكل غباء « تتمخطين » في مدينة الكلاب المبهورة الأعين أمام كتلة اللحم الرخيص المترجرجة بابتذال بخس .. تبهرك لعبة الحياة والحب . تنقاد لها نفسك دون تفكير أو تروي .. تضاجعين ثورك الهائج في بعض الليالي الحالكة . ينفثح بطنك من غيوم زواجة الرعاء .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

بعد أشهر يكون لديك شبه حيوان صغير يفدو هو قبس حياتك التافهة السقيمة . أنت لا شيء . آلة تفريخ . آلة صماء تسيرها أيدي الزمن العاث . وعاء من الصديد يلقي فيه ثورك الأحق بقاذورات . وتختالين في الطرقات بأبهة زائفة . وتبرج سخيف .. قوس قزح في سماء ضبابية معتمة . تفتخرين بالثور القذر الذي يشاركك مضجعا ، وبدسته الشياطين المقدسة في زوايا بيتك المتداعي . وشعورك ميت . وكيانك محنط .. مغفل .. وأنت سعيدة فرحة . لا عمل في اليد . لا مال في الجيب .. لا شيء في البيت . وأنت مزهوة بشيء .. وبلا شيء .. ولا تطمح روحك الى شيء .

السماء سوداء !! لا يهم . الفضاء قاحل !! أنت لا تدري .. الأرض زرقاء مملوءة بالسحب الشهباء ! فلتكن .. أنت لا تفهمين .. النهار طويل لا تدركين عمق فراغه حتى وأنت تفوصين فيه ..

كل شيء فيك راكد ، هامد كقبر غريب بلا أهل لم يسمع قط نواح قريب . وتضحكين .. وتلهين بتمزيق أجساد الآخرين بخبث ساذج . يمر حول ،

وتموت الاشهر وأنت لا تشعرين ، إن نسيت فى غمرة الحياة كيف تشعرين ..

لكنك لست وحدك السعيدة على وجه الثرى النحس ؛ فالمدينة كبيرة ،
كبيرة ، كثيرة المنعرجات .. فسيحة الطرقات ، تفص بالحмир ، تكاد تختنق
بالحмир ، نهيقهم يغزو السماء .. يلغم آذان الفضاء .

وهم يأكلون ويرتعون فى أرض الله الواسعة . وكلهم سعداء مرحون . مثل
النور الأحق المنزوى فى ركن بيتك المتداعى ، القابع أمام كؤوس الشاي
الثقيل ، مع الجيران والأصدقاء . والورق يدور ، والنكات تمور ، والالسنه
تلثم كالكلاب المسعورة فى يوم قيط مكر . إن الطموح مسلول . والعزم
مشلول .. مشلول . والامانى ذابله مدفونة مع الايام المتقهقرة الى الغناء ، فى
مقبرة محا الاعصار معالمها .. ولا شئ فى اليد ، ولا مال فى الجيب .. والزوايا
تغمرها الجردان .. والجدران تتسلقها الدبدان ، والاطفال عراة ، حفاة ، وهو
سعيد يخور كثور أمام أبخرة الشاي الثقيل ، وطيف السجائر الرخيصة .
وهو دوما سعيد . سعادة من لا يعرف حقيقة الحياة . سعادة من لم يفهم يوما
معانى الحياة . من لم يفص أبدا فى أعماق الحياة .

« الحياة علقم مرير لمن يعرف حقيقتها .. »
<http://Archivebeta.Sakhril.com>
« .. الحياة وهم بديع لمن لم يحاول دخول مفاورها .. »

« السعادة مستنقع ضحل يرتع فيه البسطاء . علكة بلا طعم ولا رائحة
يعلكها البؤساء فى أيام الفراغ .. »

« السعادة مدينة أسطورية ، خرافية الأبعاد ، شامقة الأسوار تنحطم على
سنان أسوارها رؤوس المتهورين الأغبياء ، المتسلقين جبال التمرد ، الباحثين
عن الزمرد فى برك الدماء . »

أنت بائسة .. الروتين يقتلك . مشتتة الفكر . راكنة كقطعة جريحة ملقاة
فى زاوية أرشيف ماء قابعة أمام مكتب قديم متآكل بين حشر من الوجوه
المحنطة التى خطها الملل ، ونبشتها صراصير السامة ، ممزقة بين الصراع
اليومى المضمنى ، والعمل السقيم النافه .

كل شيء حولك نائم كاحلام عجوز على شفاء الفناء ، هامد كمياء بشر
مهجورة قذرة الأغوار .

الاحاسيس الملوثة .. الضحكات الفاترة ، اللغات المتأففة الساخرة ، الياس
بغزو أجواء حياتك ، والقحط يحصد ساعات يومك ، والبؤس الذي يتمطى
فى منحرجات وجودك الضيقة . يتمطى مع رتابة عمرك كسلحفاة مكسورة
الأقدام . ولا أمل يرتقب . ولا فرحة منتظرة . قشة ضائعة تطفو فى التعب .
والملل . وشبح السعادة الشارد منذ الأزل .

بخيوط ضباب تلتحفين . تكبل عينيك ظلال الخيال . ترزح فوق كتفيك
أترية المحال . ولا تتحركين .. ولا تثورين ، أو مرة تتدمرين .. بل أصبحت
لا تشعرين .. التعب غذاء البائسين . التعاسة منارة الكادحين ، النازحين نحو
بؤرة الشقاء ، هذا كل ما تعرفين . ولا بد من الانسياق فى تلك الطريق
الشائكة ولا تسالين . لماذا ؟ وحتم أنت سائرة ولا شجرة فى اليد ، ولا
فرحة فى الأفق .. والنهاية بعيدة .. بعيدة .. لا تسالين !!

تأملين فى الغد !! لكن لا غد للبائسين .. أما عرفت الأغد للبائسين .. ثم ..
يتراكم الملل حولك فتبتسمين لكل شبح ذكر حولك . تستيقظ فيك آثار
أنوثة منزوية تحت ركام السلام .. تستيقظ الأحلام فجأة من سباتها بعد غيبوبة
ترفق المعبود المسوخ المتهاذى أمامها كفار مريض ، مسلوخ الجلد ، ترقبينه
بتذلل ، بينما تتسلق عينيك نظرة أمل فى استكانة تدعو الى الرثاء .

يزداد هو خيلاء .. تزدادين أنت تملقا . « كتمخطر » الطاووس فى دياجير
نفسه لتسوق خطاه المتعثرة .

كل ما فيه يكاد ينفجر . يتمزق قرفا واشمشازا . البنطلون ضيق ..
ضيق ، فقد لونه وأبهته فى أيام شتاء ما . القميص لامع كفانوس يسطع بالف
لون ، ينفث على عنق قائم الأديم كثرة متسخة . الشعر أشعث يلعب فى أشعة
الشمس المتوقدة بالزيت المعطر . يتزحلق نحو العنق كعشب جاف فى أرض
قاحلة .

ولا أفكار فى الرأس .. ولا شيء فى اليد .. ولا طموح فى النفس . وهو
سعيد ، مرح يتمخطر كغراب أعرج يبحث عن مثواه .

ويلعن .. ويشتم .. ويضحك ، ويتثنى فى تخنث مريب ويقول : أنا سعيد
والحياة جميلة .. والكون بديع ، والبسات كالنحل . كل واحدة تمنى رضاه ،
تلثم تراب خطاه .. والسعادة تغمر الجميع .. والوهم يأسر عقول الجميع .

« فرحتك وهم . لا بد أن تكون تعسا .. »

« أنا سعيد .. متفائل بكل ما فى الوجود ، وبكل ما يقدمه لى الوجود .. »
« متفائل بوهم ليس له فى الحقيقة أى وجود . سعيد بدنيا أنت أخطر وباء
يسم شرابيتها .. »

« تعودت رثاى رائحة الفقر . واستطابت خلايا جسمى طعم الحرمان والجوع
فلم أعد أعرف لليأس طريقا .. »

« أنت حمار تافه .. »

« أنا واقعى . الآمال العظام لا تهزنى . وعذاب الطموح لا يستعبدنى .. »
« الدنيا مملوءة بالأحمر العذبة الإحساس مثلك .. »
« كن حمارا سعيدا ولا تكن أسدا مشاكسا غنيلا ، هذا شعار دنيانا .. أنا
قنوع .. أنا صبور .. إذن أنا سعيد مراح .. »

« القناعة أخطبوط يشمل خطى المساكين .. »

« التمرد علفة تمتص دم الثائرين المجانين .. »

حزينة أنت .. يائسة .. ما زلت تنتظرين .. وتتعذبين . بقنوط فظ
تذمرين . بمرارة فتاكة تذرفين الدمع وتتأوهين .

إلأم ؟ وحتم ؟ ولم .. لم أنت باقية على صدر الدنيا ولا أحد يفهمك ..
والحياة لا تسعدك ، فلم ؟ لماذا لا ترحلين ؟

ربما يوما تنجحين ؟ ربما يوما بالصفاء تنعمين .. ربما .. ربما .. وما زلت
تنتظرين ..

فى يوم أغبر حزين . لنيم صباحه ، كئيب مساؤه ، تزلحلت من رحم أمك ..
رغما عنك .. صفتك رائحة الحياة النتنه . بكيت .. صرخت .. ثم خمد
صوتك مع الايام .

انقدت لفزورة الحياة الماكرة قسرا ، انسقت لتيارها الهادر .. لم تستطيعى
مقاومة الامواج . كادت تبتلعك . قاومت كثيرا . صارعت كثيرا . خارت
قواك ، اخيرا ألقت بك الامواج على الشاطئ المتسخ كتلة حطام . بقيت ملقاة
فوق الرمال المحرقة نصف مشلولة يعمى عينيك سراب الحياة ، تعتصر نفسك
مرارة الحياة . وشرارة كلمات تحرق مهجتك بسياط لهيبها ، بالحاح قد تهصر
سمعك ، تنز دما فى قلبك البكر .. لم تستطيعى إخماد لهيبها . كلمات شدا
بها فتى غدرت بشبابه الايام ، فاردته مثلك الايام .. و الشقى شقى من كان
مثلى ، فى حساسيتى ورقة نفسى .. تبكين لكآبة نغمتها .. رقيقة ..
حساسة .. اذن شقية أنت وبائسة ، لم تخلقى لهذه الحياة السخيفة التافهة
التي بحجر المكر قد أسست ، وبماء الغدر قد غمرت .

لم يبهرك بريقها . لم يجذب خطاك طريقها المفروس أشواكا ، ولم تشل
تفكيرك موسيقاها البائسة ، النادبة ، ولا غرك طعنها الجلو ، الكئيب المرارة .
أمامك يختال رجل . تديرين الظهور بصرارة تبتسمين . أراجوز مفكك
الحيوط ، باعت الالوان . اليه لا تلتفتين . بقرف نحوه تبصقين .

معقدة .. حاقدة .. مغرورة .. لكنك بما قيل وما يقال لا تبالين . وتبتعدين
عن كل أشباه البشر ، ومن كل الكلاب تهريين . الى الوحدة .. الى عالمك
النائي تهريين . لوكر أحاسيسك ، وشاعريتك الوهاجة تلتجئين ..
وتنتظرين وتنتظرين ، وقد كنت نسيت ماذا تنتظرين ، حتى فارس
الاحلام طوت ذكراه أحداث السنين . وتنتظرين ..

يرادك شبح الموت .. ربما .. وعسى .. ربما تنزحين يوما من أرض
النفاق .. من دنيا التافهين .. لكن بثر الموت عميقة ، سحيقة المدى ، فى
أغوارها أنت ضائعة لم تعرفى كيف تسبحين .

وعلى رغم الفشل ما زلت ترقبين الموت .. ما عسى العصفور السجين أن
يفعل .. وما عساك أن تفعل ومصاحبة الحмир بغيضة ، وممارسة الحياة لعينة
لثيمة .. وطعم الزيف مرير .. مرير .. لكن ماذا تفعلين ؟

ثرت .. حطمت .. ودمرت على صخرة التمرد الآمال والأحزان ، ومزقت
بيدك أشلاء معبودك المصنوع من وحل وطن . لكن لا شيء تغير ، لا شيء
ينتظر . لم تتغيرى .. لم تنحني أمام صفعات القدر ، ولؤم الزمن ، ولا الزمن
لان وانصدع .. هذا ما له تتمجيبين .

مارد السعادة يطارد افكارك . تبسمين ساخرة . السعادة وهم يعصب
رؤوس التافهين .. أنت واعية .. أنت ذكية لا تتوهمين ، إذ أنت لست
كالآخرين .

دعهم كل يسير في طريق معتم سراي يحصد حماقات وجوده ، ويعلك
سخافات أوهامه ولا يعرف الى أين المسير ؟ ولا كيف المصير ؟

بفزورة الحياة أنت لا تخدعين .

الكل غارق في يم الوجود .. الكل سجين في قفص الوجود . إنما كيف
الحلاص ؟ كيف النهاية ؟ كيف ؟

تراها ستعلم يوما ؟ تراها سيعلم يوما ؟ تراها أنت الوحيدة تعلمين ؟

حياة بن الشيخ

قريبا جدا :

« .. بلا رجل .. »

أول مجموعة قصصية لحياة بن الشيخ

نشر مؤسسات ابن عبد الله

زهرة الحبلاهي

جاء هزيل

جلست الصبية القرفصاء .. ظهرها خلف الجدار الرطب .. برزت ركبتيها من « دجنيها » المهترى .. كانت تحرك شفتيها وتحرك عينيها كالدمية .. كدمية بلا أصباغ .. ضمت أرجوازياتها في جنو بعد ان نادت كل واحدة باسمها .

حدقت الصبية في الجدران طويلا . ثم قالت من خلال بقايا صوتها :
- انى اقيس الزمن بعد الأرجوازيات التي أصنعها في انتظار عودة « أوليس » . وتعددت الأرجوازيات وتكدست بجاني . ولم يعد أوليس بعد . وتقلص صوتي ، وتقلصت الزوايا وجفت أملاح السبخة وفقد كلبنا الهزيل صوته ولم يعد يصل أذني نباحه . ولم يعد فيه شيء غير بريق عينية ولهاثة المتواصل .. ومنذ زمان أغنى كلبنا من حراسة اصطبيلنا الكبير .. حراس اصطبيلنا جعلوه لا يشعر بالحاجة للنباح .. رائحة القاذورات تتسرب من اصطبيلنا وهو مغلق منذ أن أصيبت جيانا بالوباء والهزال .. لم يعد يصل أذني صهيلها .. ولكنها لا تريد أن تموت . فقط صيحات حراسنا هي التي تستطيع أن تمزق الصمت .. يضعون عيونهم على ثقب الابواب ولا يمكن للوباء أن يتسرب لخياشيمهم لانهم مطعمون ضد الوباء .

قال الحارس الاول :

- يخيل الى أن هذه الجياد الملعونة تأبى الموت .

قال الحارس الثاني :

- أليس الوباء فتاكا مبيدا ؟ فما لها لا تموت !

قال الحارس الثالث :

- أما أنا فأشك في صحة هذا الوباء المزعوم .

تدخل آخر :

- البياطرة يقولون كل ما يخطر ببالهم .

قال آخر :

- لماذا لا نحرق هذه الجياد ونرتاح .

أجاب آخر :

- الحرق من الاشياء التى لم نؤمر بها .

قال آخر :

- أرجح أن هذه الجياد أصابها سرطان ، وسوف تنتهى فى يوم من الايام بصورة طبيعية .

سأل آخر :

- لكن متى يأتى هذا اليوم ؟

حرك رئيس الحراس جنته الضخمة قائلاً :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- الا تعرفون يا مجانين انه بذلك ينعدم سبب وجودكم وتموتون فى الفراغ .. الا تقيسون الزمن بعدد رقصات الجياد الهزيلة ؟

قال آخر :

- انه الصواب .. ضع عينك على الثقب .. انظر .. رقصتها اليومية تتواصل .

أجاب آخر :

- غريب أمرها .. لا تأكل .. لا تموت .. وترقص .. لعلها اختزننت الكثير !

★ ★ ★

قالت الصبية :

- ما زلت لا أرى شيئاً غير اصطبلنا الكبير من خلال الثقب الذى صنعته من الحائط أتلقى من خلاله أحاديث حراسنا ومزاحهم .. وحركاتهم ..

ويتسرب، الهواء الرطب من الثقب .. انى بحاجة الى تحسس املاح السبخة وبريق عيني كلبنا الذى اصبح عيكلا عظيما .. رايته يوما يفرس اظافره فى الارض باصرار ولم اعد اسمع لهائه . وتعلقت عيناه بشيء بعيد اجهله أنا وربما يجهله هو .. ثم تركت الثقب . كل الارجوزات تجنّب بجانبى بلامحها المختلفة واسترد بقايا صوتى وأخاطبها جميعا . واجد أنه من المناسب أن أعيد صنعها أحيانا ، فأغير شعر واحدة وعيون الأخرى وملابسها . وقد أجعلها بانوف طويلة وافواه مفتوحة والسن طويلة .. رقيقة .. أجذبها .. أجذبها أمططها ثم أتركها تتكور فى حلوقها وأسد أفواهها بأصابعى ثم أتسل بقطع أعضائها ..

لا أدري لماذا تعجبني الارجوزات الكسيحة .. فأقربها من الثقب فتلفحها رطوبة الهواء .. فأحس أنها بحاجة الى أعضائها لكى لا تجدها الرطوبة .. ثم فكرت فى صنع خيوط فى ظهرها أشدها اليها .. وأعلمها الحركة حتى تلك التى يحلو لى أن أقطع أعضائها .

اكتشفت ان مجموعة الارجوزات بدأت تتضخم من خلال الحركة تلك الحركة التى أفرضها أنا . لكن لا يعجبني أن تتضخم من تلقاء أنفسها .. أشعر أنه لا يجب أن تتجددنى .. وألقى فى أحد الاركان كأي طفل مل لعبته الوحيدة .. ولكنى لم أعلم القسوة عليها لأنها تساعدنى على تحمل الزمن الذى يتضخم ويخيفنى من خلال وحدتى ..

★ ★ ★

حلت الصبية ضفائير شعرها الاسود الناعم . ومدت ساقيهما أمامها ورفعت رأسها الى الأفق ثم قالت :

« سوف يأتى « أوليس » ويحطم الزوايا الرطبة .. ويصنع النوافذ والابواب .. ويزين الجدران بالارجوزات التى صنعتها .. جواد « أوليس » لا يعرف الاعياء ولا يعرف الوباء ولا يعرف الهزال ولا يحتاج الى بيطرى . تعيش فى حوافره المسافات التى تتمطى وتتمطى دون أن تبعث فيه داء الاعياء . لكن حراسنا يشيعون أن « أوليس » ضل الطريق بعد أن أكل شجر النسيان مع جواده وأنمحي معنى الزمن عنده وذاب البعد فى حوافر جواده .. « أوليس »

أضاع مكانه من الزمن ومن الفضاء .. كلبنا الهزيل ينظر الى بعيد دائما ..
لعله ما يزال مؤمنا بأن « أوليس » سوف يعود يوما لكى يربت على ظهره
فيتفجر النباح حادا من حنجرته .. ويقهر الصمت والهزال ويعدو .. ويعدو ..
بعيدا .. جيادنا تنتظر « أوليس » لكى يفتح لها الابواب .. ولكى يذيب
سرطانها ولكى ينطلق من جديد فى سباق لا ينتهى ..

حراسنا أيضا ينتظرون « أوليس » لكى يبحثوا لهم عن اصطبلات أخرى ..
أملح سبختنا الجافة فى حاجة الى عصا « أوليس » السحرية .. لكى يتفجر
فيها الماء عذبا وتخضر السبخة .. سماؤنا بحاجة الى أنفاس « أوليس » التى
تنبخر لكى تنزل مطرا يغسل كل شيء ..

★ ★ ★

قالت الصبية :

— فى لحظة ما من هذا الزمن الذى يتمطى تأملت ساعتى التى لا تتحرك ..
النظر فى ساعة معطلة شيء مرهق .. لا يمكن أن اتحسس مكانى من الزمن
الا عندما اتفحص حدى الأرجواژات التى صنعتها ..
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كان أبى يعدنى دائما « عندما تكبرين ستكون لك ساعة بمقارب تتحرك » ،
ولا أدري لماذا لم أكبر الى حد الآن بما أنى لم أملك ساعة تتحرك .. أو لعل
أبى نسى وعده كما يفعل كل الكبار مع الصغار غالبا فلم يهدنى ساعة
تتحرك ... ويرهقنى أن أضع عينى على الثقب وأجد أن كل شيء لم يتغير
مؤخرات حراسنا فى وضعها المعتاد عندما يضعون أنوفهم فى ثقب الاصطبل
الكبير .. ثقب اصطبلنا كثيرة ولكن بابه القبيح الشكل مغلق بإحكام للوقاية
من تسرب الوباء ..

الحقيقة الأخرى التى بدأت تفرض نفسها فى كل يوم ذوبان وجوه حراسنا
.. وتتضخم عضلاتهم ومؤخراتهم وعصبيهم .. حراسنا بلا وجوه ! لا أدري
كيف ضيعوا وجوههم .. لكنهم يمزحون ويدخنون ويحركون عصبيهم .. أنوف
حراسنا تشم وترى وتبتسم .. وتدخن .. وتاكل .. وتشتتم .. وتلعن ..
أنوف حراسنا عالم آخر ..

سأفكر يوما في صنع ادجوازات بأنوف ضخمة بأنوف تعوض بقية الملامح .. تصوروا أنفا كبيرا في شكل علامة استفهام تشنق - بواسطة خط طويل في أسفلها - الكتفين اللذين تمتد عندهما الاعضاء العليا ثم باقى الجسد ..

★ ★ ★

قال رئيس الحراس (بعد أن حك أنفه) :

- هذه الجياد تزداد هزالا وتزداد التصاقا بالارض .. وتلمع عيونها الكبيرة .. هذه العيون التي تتضخم في شكل بريق حاد دون أن تصل الى تغطية الهزال.. وتستنشق النتونة وتفتح أشداقها لتقتنص الذباب .. وتختار الذباب الجميل بأجنحته البراقة .. انها تنخدع كمادتها بالبريق .. وهذا سبب حبسها في هذا الاصطبل ..

اصغوا الى جياد .. أشعة الشمس لا ينبغي أن تدخل الاصطبل .. سدوا كل الثقب ان دعا الامر .. وان استطلعتنا أن نختطف منها الحلم بالشمس فسوف لن نتردد ..

انظروا كيف تضرب بحوافرها على الارض في تمرد .. وتضاعف في الصهيل أيضا !.. وتتسع عيونها الضخمة وتضرب رؤوسها على الجدران .. وتدور وتدور حول ذاتها .. وتبرز عظامها ويتمزق جلدها وينز منها سائل بلا لون .. وتتضخم حركتها منذ ان برزت الزائدة الدودية في احد جوانبها .. وتفقد توازنها من حين لآخر .. وتترك على الارض في صمت .. لعلها تحكى لنفسها قصتها .. قصة حلبات السباق التي عرفتها حوافرها .. قصة المسافات التي احتوتها .. قصة زمن الانطلاق .. فتندب البطولة الضائعة .. ها هي رهينة عصيكم .. تتنفس النتونة ولا تقوى على الصهيل .. وتتضخم زوائدنا داوا يعذبها الى الابد . وتفتح أشداقها تلفظ أضراسها الاخيرة وتسمح بالسنتها الطويلة البيضاء كالورق لغبها العاري .. لفظت أضراسها كما لفظتها الطرق ..

الفضاء هو ذلك الحلم الذى تقاوم به الموت والذى ينبغي أن تختطفه منها ..
انها تستعيد طعم الركض وتجتره من خلال رقصتها اليومية .. لقد نسيت
حقيقة الركض منذ أن أصيبت بالوباء وأقيمت حولها الجدران التى تحرسونها.

تذكروا دائما هذه الاوامر ونفذوها بهراواتكم : الحلم ممنوع .. التفكير
ممنوع .. الرقص ممنوع .. الصهيل ممنوع .. التناسل ممنوع ..

مر الحراس انوفهم علامة الامتثال والطاعة .

قالت الصبية :

- منذ أن غابت ملامح حراسنا أصبحت أرجوازاتي بلا وجوه ، أصبحت
ملاحمها تعيش فى تلك الخيوط التى تتصل بظهورها .. منذ ذلك الوقت
وضعت عليها أرقاما .. وأصبح حوى عليها يتضاءل لعل مكانى من الزمن
أصبح يتضح أكثر أو هكذا يبدو لى .. وظننت أنى فهمت لماذا يحمل حراسنا
أرقاما على ظهورهم . كانت أرقامهم تتضح دائما بقدر ما تغيب ملامحهم ولا
تبدو ، الا علامة الاستفهام الكبيرة التى تمثل وجوههم .. واكتشفت أن
مكانى بين أرجوازاتى لا يخالف كثيرا مكانة رئيس حراس من نوع خاص ..

أصبحت أغير أرجوازاتى تغييرا جذريا ولم تعد أسماؤها القديمة تعنى
شيئا بالنسبة لى ..

أصبحت أدمجها فى بعضها لكى استخرج منها أرقاما مختلفة وأجمع
وأطرح .. وأقسم .. وأضرب .. وأضع معادلات مختلفة حسب منطقى الخاص
.. وأعجبتنى هذه العملية فى الاول ووجدتها مغرية .. كما وجدت مغريا أن
تفتت أرجوازاتى بين أصابعى تلك الاصابع التى لا تستطيع أن لا تمهد
دائما بخلقها من جديد . بشكل مغاير ورقم مغاير . وأنف مغاير فى شكل
علامة استفهام مقلوبة .

أخذت أعيد العملية الى حد الإرهاق .. وأخيرا اكتشفت انها لا تمتلك ذلك المعنى الذى تضخم فى خيالى .. وجدت أرجوازاتى تهرب منى ، مما جعلنى أنقم عليها فلا أتردد فى تحطيمها فى تلك اللحظة التى أنجزها فيها .

واكتشفت - بكل أسف - أنى لم أتمكن من اتقان دور رئيس الحراس الذى يلتف حوله حراسه وكلهم علامات استفهام ضخمة .. منصتة .. منتبهة .. ممثلة .. وما أن يحرك جثته الضخمة حتى تتسع الأنوف وتحرك فى وقت واحد وفى تناسق عجيب علامة الموافقة بالاجماع على كل الأوامر والتعليمات ..

قلت فى نفسى : لعل علمت أرجوازاتى التمرد فى تلك اللحظة التى أنجزها فيها وفى الوقت الذى أشدها من خيوط ظهورها .. وتضخم الفراغ حولى ولم أعد أعثر على نفسى بين هذه الأركان المستقيمة الزوايا .. وأصبحت أجد صعوبة كبيرة لما اعتزم أنجاز واحدة .. وأصبح هذا العمل يكلفنى الكثير من الحيرة والتفكير بأى شكل أصنعها .. وتضخم شعور الضياع ولم أتوصل الى تعامل أرجوازاتى وصنع الزمن بمفردى .. وأصبح الانتظار كآى عملية مخاض لا تنتهى يزيدها صعوبة مراعى أرجوازاتى الملقاة فى الزوايا بدون تعبير وبدون وجود وأصبحت لا أختلف عنها كثيرا .. وانفتح ثقبان فى جمجمتى .. اقتضح فى أحدهما أن الانتظار عملية لاغية .. واتضح فى الآخر أن تعدى الزمن قد يكون أيضا فى تحطيم الأركان والجدران وتخطى الحواجز .

« ذ - ج »

=====

أعمدة من دخان

قصص يقرؤها كل الناس لما فيها

من وضوح وإمتاع ، وما تحلله من قضايا

=====

عَلَى الْعَرَبِيِّ

البطل في قصص الفارسي

« انى وراء هذه الشخصيات جميعا أحرك خيوطها
أحاكى الحياة طورا وأخالفها وأعاكسها طورا آخر الى ان
يتوقف القلم وينبض معين الخلق فاصمت ، وأدعى عند
ذلك ان **عملي** قد انتهى وانتهت معه القصة التى كتبت
وفرغ ذهني ردحا من الزمن الى ان تشغله قصة جديدة
فتدعوني للكتابة للمحنة للمغامرة وهكذا دواليك ،

مصطفى الفارسي

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ان المتأمل فى النهضة الفكرية والادبية بتونس منذ الاستقلال حتى الآن
يلاحظ تقدما لا شك فيه سواء فى ميدان القصة او الشعر او غيرهما من
ميادين الخلق والابداع .

ولكن الثغرة التى ما زالت واضحة هى الحركة النقدية التى لم ترس
قواعدها بعد فى تقاليدنا الادبية : ذلك ان النقد عندنا مازال يخضع للصدقة
أو السب والشتيم . وفى كلتا الحالتين هو شر على الادب ووبال على
الادباء .

ومن هنا فان دراستنا لادب مصطفى الفارسي وخاصة اقاصيصه (*)
تدخل فى هذا النطاق ، وليس القصد من هذا البحث مدح مصطفى الفارسي

(*) هذا البحث خاص بقتصص الفارسي المنشورة فى « القنطرة هى الحياة »

أو اطراء أدبه ، ولكن الغاية هي المساهمة في التعريف بالقصة في تونس التي لا نشك في أصالتها والمكانة التي أصبحت عليها في إطار الادب التونسي منذ أقاصيص على الدوعاجي حتى الاديب مصطفى الفارسي .

وإذا كانت الغاية تلك فانه يتحتم علينا معرفة ملامح العصر - أي النصف الاول من هذا القرن - وبالتالي ابراز مميزاته وتأثيرها في النفوس حتى يسهل علينا وضع أصابعنا على المميزات الهامة لابطال قصص الفارسي .

ان الحرب العالمية الثانية صبغت حياة الشعوب بصبغة اساسية هي الرهبة والقلق . ولقد احسن « البير كامو » صنعا حين وصف قرننا هذا بأنه « قرن الخوف » . ومرد هذا القلق والخوف هو القنبلة الذرية التي أصبح مولها ورعيها يعيش في النفوس التي تحب الحياة والانطلاق والحرية دون قيد او شرط ، وما زال تفجير القنبلة الذرية في هيروشيما في أعقاب الحرب الاخيرة مخيما على النفوس . بل ان حول الحرب الذرية المقبلة ينتظره الناس بين لحظة وأخرى ، وخاصة في الازمات السياسية العنيفة أو في « اوقات الغضب » كما يقول « أندري مالرو » .

ورغم ان البشر في مسيرة واحدة أمام الموت والتحدى فانهم مقسمون الى صفين أقوياء وضعفاء ، والشق الثاني يعيش في صراع مع القوى ليتخلص من سيطرته واستغلاله .

وطيلة النصف الاول من قرننا العشرين اجتاحت أمواج التحرر شعوب افريقيا وآسيا وغيرها من بقاع العالم ، فاستنشقت هذه الشعوب عبير الحرية الفواح ، الا انها اصطلمت بعد ذلك بمشاكل الحرية والاستقلال ، فنشأت من ذلك دعوة الى توفير العيش الكريم والعمل للمواطن - لا الرعايا - والقضاء على كل سيطرة داخلية ، وارساء الحقوق الاجتماعية لكل مواطن .

كما ان القوى التي كانت تحكم تلك البلدان لا تخرج منها نظيفة اليد ، بل انها تترك مشاكل وعقبات سرعان ما تكون وبالا على تلك البلدان الفتية الحديثة عهد بالحرية كما حدث بالكنفو عندما نال استقلاله . وإذا كان التحرر ميزة هذا القرن فان القوتين اللتين تسيران حظوظ العالم تقتحمان هذه

البلدان في أشكال وصور مختلفة مما يجعل هذه البلدان تعيش في اضطرابات وانتفاضات سياسية واجتماعية بينما كان من المنتظر أن تعيش في هدوء واستقرار لبناء قوتها الذاتية وتوفير الوسائل الحياتية للمواطنين والنهوض بهم ثقافيا واجتماعيا .

ذلك ان قرون التخلف تركت بصمات اصابعها في عقلية هذه الشعوب وذهنيتها التي اصبحت بالتحجر والجمود ، فانطفأ وهج العقل وذبل اشعاعه فخارت العزائم ووهنت النفوس عن طلب المجد والغلبة فمالت الى الاستكانة والمهانة والرضى بما توارثته من فاسد العادات ، ومنكر القول ، وسوء الاعتقاد ، وضعف الايمان ، وكأثر العزيمة ..

الا انك تلمس في هذه الشعوب نفوسا بدأت تدرك كنه الحياة واسرارها .. واخذت تلمس طريقها في اشراق فكر واطلالة فجر ، تعمل لنفع الجميع وبث الفضيلة ، واناة الطريق للمثائمين من بنى جلدتهم . وهؤلاء هم الكتاب .. هم رسل الحرية والتحرر في بلادهم .

هذه هي الحلقة التي تعيش دوراتها ، فهل استطاع مصطفى الفارسي أن يصور شخصياته في قلقهم وخيرتهم وتمزقهم ؟ ثم ما هو مدى انتسابهم لهذه التربة التي تعيش فوق اديمها ؟ وقبل هذا ما هي المميزات التي يتصف بها البطل في قصص الفارسي ؟

المميزات الاجتماعية

- قسم الاستاذ صالح القرمادي في بحثه عن القصة في تونس منذ الاستقلال:
- النزعات التي تتجاذب القصة التونسية الى ثلاث طوائف :
- (1) نزعة الاضطرابات العاطفية او النزعة الرومنظيقية
 - (2) نزعة الحماسة والتمجيد
 - (3) 1 نزعة الواقعية والاجتماعية .

(1) صالح القرمادي : القصة في تونس منذ الاستقلال ، حوليات الجامعة التونسية عدد 2 1965 ص 75 - 132

والى هذه النزعة الاخيرة ينتسب رشاد الحمزاوى والبشير خريف والطبيب التريكي وصالح القرمادى ، وصاحبنا مصطفى الفارسى : ذلك ان القصة فى تونس فى مرحلتها الثانية تخطت ما يسمى بالادب الذاتى ، فلم تعد مستلهمة من المشاكل الذاتية ، ولم يعد محورها تجربة المؤلف الوجودية أو بعبارة أصبح لم تعد قائمة على هذا العنصر وحده ، كما هو الشأن فى قصص المسعدى كما ان القصة خرجت من طور الاكتراث فاذا بمصطفى الفارسى ورشاد الحمزاوى ومحمد العروسى المطوى يصفون المجتمع البدوى ، بمعتقداته العتيقة وعقليته المتأخرة .. لا كما يرسم الرسام لوحته ، بل ان غرض النقد واضح جلى فى مؤلفاتهم والدعوة الى الاصلاح لا لبس فيها ، (2)

ومما لا شك فيه ان تجسيد المعتقدات العتيقة التى لا علاقة لها بالدين والعقلية المتأخرة سيمثلان فى شكل أبطال يحرك خطواتهم الفارسى . وهؤلاء الابطال هم رسل افكاره وآرائه فى الدعوة الى الاصلاح ، والنقد الاجتماعى .

وأول ميزة فى البطل عند الفارسى هى انتماءه الى طابور الفقراء والمشردين . ونحس تعاطف مصطفى الفارسى على هؤلاء الفقراء واحتضانه لهم ، حتى انك لتشعر بأنه أحدهم . ونحن نعلم أن الاديب مصطفى الفارسى ينتمى الى أسرة صفاقسية فقيرة : فالكاتب اذن أحس بالفقر وعاش على هذه الحال طيلة دراسته الابتدائية والثانوية . وسيكون أبطاله الفقراء أقرب الى نفوسنا والصق بتربتنا فهم ، اذن ، يعيشون بيننا ، فهذا بابا مفتاح فى يوم عيد « شيخ فى الخمسين من عمره ، لا يملك فى الحياة الا زاد التجربة » رب عائلة كبيرة باع الدار والعقار ، وانحدر من جنة الاشراف الى جحيم الصعاليك ، وأخذ على قارعة الطريق مكانه ومد يده كغيره من البؤساء ،

(2) عمر بلخيرية : مجلة شعر (البيروتية) عدد 36 - 1967 وكذلك مجلة الفكر ديسمبر 1967

(3) مصطفى الفارسى : القنطرة هى الحياة (الدار التونسية للنشر 1968) ص 289

(4) القنطرة : ص 52

يسأل المارة قوت يومه « (4) قرب جامع الزيتونة ، وإذا به يغيب عن مكانه ، ويتساءل من تعود رؤيته جالسا في مكانه عن غياب « بابا مفتاح »

وهنا يربط الكاتب بين البطل وبين الناس الذي يعيشون حوله ، فقسم كبير منهم يعطف عليه خاصة عندما يعلون « أن سيارة كان يركبها ثلاثة من الشبان المربردين قد صدمته في بكرة هذا اليوم (5)

وبما ان بابا مفتاح ضعيف فقد صاح الشبان في وجهه ، ولم ينصفه أحد من المارة ، ورجع الى منزله « ورجله كالعصف المأكول » .

وأما زوجته « بركة » - لاحظ الاسماء التفاضلية الضدية في مفتاح وبركة - فهي امرأة عجوز هدتها الشيخوخة والخصاصة والاطفال ، وقد صورها الكاتب في تفكيرها الساذج ، وصور حالتها النفسية ، وقد أقدمت على سرقة الحبز - وسرقة الحبز أصبحت بمثابة « الملقومة » في الشعر الملحون وخاصة في القصص التونسية التي ظهرت بعيد الاستقلال (6) .

« ورفعت بركة الى الله رأسها تسترحمه ، وعضت في صلاتها الطويلة الصامته تتضرع الى خالق الكون وتبتهل حائرة لائحة » (7)

« وضعفت عزيمة العجوز وقويت سيطرة الجوع عليها فنسيت لغفرتها تلك تشريع المشرعين واحكام الحكام والقاضين ، واصبحت تأتمر للجوع تنتظر ما سيمليه عليها . وأوامر الجوع مقدسة ، وعادت ادراجها الى الباب الجبلى خاضعة صاغرة » (8)

الا ان بابا مفتاح في « يوم عيد » يظهر في قصة « القنطرة هي الحياة » بلامح جديدة . وقد استغل مصطفى الفارسي هذه الشخصية ليعبر عن تحول الحياة وتطورها ، وعمل الانسان الدائب الذي تفصله عن الموت قنطرة تصل الموت بالحياة ، الا ان هذه القنطرة لا حد لها ولا بداية . ومن هنا فالكاتب

(5) نفس المصدر السابق ص 54

(6) راجع بودودة مات للحمزاي مثلا .

(7) القنطرة ... ص 57

(8) المصدر السابق ص 60

يدعو الى العمل البناء المستمر ، يقول على لسان مفتاح : « معلقة لا هي متزوجة ، ولا هي مطلقة هذى عبرة للاموات .. القنطرة .. هي الحياة .. يا ويح الغافل .. يا ويحه .. ويح من مات لا فقيدا ولا مفقودا !! » (9)

ومفتاح بوسائله البالية يصطدم بالقوى المادية الحديثة و « القانون هو القانون » حيث تقام أين وضع هو « براكته » شركة سياحية بها « نزل على الشاطئ » وحوض للسباحة ومرقص وملعب ومقهى ومسرح ، (10) ذلك « ان الحوت ياكل الحوت وقليل الجهد يموت » (11) ويأتى صوت أمه هذه الفيلسوفة المؤرخة يوقظه من غفوته وعدم مساييرته للحياة الجديدة « يا الله يا وليدى مفتاح .. كسر الاخشاب ، وشمر عن سواعد الجد واترك الهلس والنزعة والاعيان .. فكر فى الليالى السود .. فكر فى البرد .. فى المطر فى الضباب » (12)

وفى « ظل الماضى » تواجه سعدية التقاليد الاجتماعية بمفردها ، فقد انجبت طفلا من حبيبها الذى سافر ولم يعد ، ويموت هذا الطفل بعد ان كانت تعتقد انه سيكبر .. ويتزوج .. و .. وفى هذه الاثناء تتذكر حبيبها سامى .. وتعود إلى ماضيها معه ، وكلماقه المظننة تنسرد فى أذنيها : « ساعدود يا سعدية لا تخافى يا حبيبتي .. وسنعيش معا انتظري » (13)

الا ان هذا الشاب قد غرر بها ، وبقيت وحدها تتحمل مسؤولية الجنين ، وتواجه المجتمع وجها لوجه ، ونسييت ان مجتمعها .. لا يغفر زلة القسدم وطقرة الشباب .

ان شخصيات مصطفى الفارسى والفقراء منهم خاصة ناثرون فى داخل انفسهم ، يتحلون بالاضعاج الاجتماعية فى صمت ، ويصارعون بكل ما اوتوا من قوة . ولكن هذه الثورة لا تأثير لها فى الواقع الاجتماعى ، هي ثورة الضعيف عندما يواجه قوى جبارة ، فبركة عندما تقدم على سرقة الخبز « كانت تظن

(9) القنطرة ص 260

(10) القنطرة ص 265

(11) القنطرة ص 266

(12) القنطرة ص 269

(13) القنطرة ص 46

أنه ليس من السرقة في شيء أن يسترجع الإنسان من المجتمع المقتصب ،
الظالم حقا من حقوقه الشرعية ، وهو حقه في أن يأكل ليعيش ، (I4) ولكن
العجز « بركة » في آخر الأمر تمتنع عن السرقة خوفا من القوانين الاجتماعية
وكذلك سعيدة هذه الفتاة التي ظلمها المجتمع ، ولم يستمع إلى حقيقتها تصرخ
من أعماق قلبها .

– الهى !! أين عدلك ؟ أكانت جريمتي كما يسمونها مطبوعة على جبهتي ؟
أكانت جريمتي فوق رأسي ، تتبعني ، حيثما ذهبت وأينما حللت ؟ ألا تعلم
أنت أنني مخدوعة ، لا أستحق كل هذا الهوان » (I5)

وظل الماضي هي كما قال المؤلف : « ثورية خلاقة فيها تساؤل حياتي
وتساؤل عن كيان الإنسان ومصيره بالنسبة إلى القوى القاهرة » (I6)

لكن الضعفاء إذا تعاونوا فيما بينهم فإنهم يصنعون المعجزات ويتغلبون على
« القوى القاهرة » وهذا ما نلاحظه في « سلسلة من ذهب » هذه القصة
المحمية التي تصور نساء المهديّة في جمعهنّ لحليهنّ ليشتري رجالهنّ مركب
الصيد .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ونخشى أن يفسد التلخيص طلاوة هذه القصة وروعها خاصة النفس الذي
كتبت به ، وهو نفس ملحمي – كما أشرنا – ونرى في هذه القصة تعلق
الإنسان التونسي بأرضه التي ولد فيها ، فهو يخشى الترحال ، لأن في
الترحال موتا له :

– « من كان يعيش من البحر يعرف أن نبتة الضريع نبتة حية إذا ما
تشبّثت جذورها بالصخر ، فإن غادرته تهدد كيانها ، فهي ميتة لا محالة » (I7)

(I4) القنطرة ... ص 58

(I5) القنطرة ... ص 48

(I6) بطاقة تعريف برنامج يعده عبد العزيز الرياحي بالإذاعة التونسية ،

وأذيع الحديث مع الفارسي في شهر ماي 1969

(I7) القنطرة ... ص 70

فأبطال هذه القصة متحركون هذا له الفكر والتجربة - الشيوخ - وذاك له المبادرة الحرة - النساء والحلى - ومن هذا وذاك تكونت هذه الملحمة الاسطورية ، التي تحولت الى شريط سينمائي ناجح .

ويمثل الشيخ مبروك في « النفحة الشافية » جانبا آخر من المظاهر الاجتماعية وبالأحرى العقلية المتأخرة التي كان عليها المجتمع التونسي قبيل الاستقلال ، فالشيخ مبروك المتطبب ، هو أحد الاصابيح التي يحركها الاستعمار ليؤكد دعواه القائلة ، بعدم اهلية الشعب لنيل استقلاله ، وهذه ظاهرة استعمارية عرفتتها معظم شعوب العالم الثالث . وقد حاول مصطفى الفارسي رسم شخصية المتطبب ، من خلال حديث أهل القرية عنه ، فجاء الاسلوب ساخرا ، والنقد لاذعا .

فالشخص مبروك يرتدى « جبة مشقوقة على طول جسده يسترسل تحتها على سرواله المشوه العفن قميص اسود بيضه العرق والفار » ، فالكاتب يبرز اعماله وتصرفاته المشينة من ناحية ، وقذارة جسده من ناحية أخرى . وهناك عبارة كررت مرات وهي « الشيخ مبروك رجل صالح » ، ما دام الناس يؤمنون بهذا الولي الصالح صاحب البركات التي لا تنتهي والتي لا يشك فيها أحد ، وخاصة نساء القرية ، لان مجرد الشك في نتائج طبه تهلكة وقد أخفى الشيخ الاعيبه تحت ستر الدين ، والدعوة الى الايمان بالاولياء الصالحين وتقبل أهل القرية دعواه ، ما دامت المرأة ، تحمل ، وبالطبع بعد ان يتصل بها هذا الشيخ الماجن جنسيا .

ويقبل أهل القرية على هذا الشيخ المشعوذ اقبالا يسره على مدى تحجر العقلية ، وسوء العقيدة ، وقصر النظر ، بينما الممثل للمهنة الحقيقية - وهو الطبيب - لا يقبل عليه أحد ، وكان على الطبيب أن لا يفشل عندما تنور فسي وجهه معارضة انصار الشيخ له . ولكن الفرد لا يستطيع أن يتغلب على المجموعة الا في ظروف مواتية ، وقد واثت الطبيب الظروف الملائمة ، فاغلقت السبل أمام الشيخ مبروك فغادر القرية للبحث عن موطن آخر يزرع فيه سمومه من جديد ، وعندما خرج من القرية ابتسم ، لانه استطاع أن يعيش ويتنعم بالحسان في هذه القرية المسكينة .

– « ولأول مرة شهد شاهد من أهل القرية ، أن الشيخ ابتسم ، وأنه
حت خطاه الى أن توارى في الأفق » . وبرحيله تطهرت القرية من جرثومة
التخلف .

والى جانب شخصية الشيخ ميروك أو الشيخ دجاجة توجد نسوة وفتيات
ضحايا الشيخ ، فهن بسيطات ساذجات ، يفرر بهن الشيخ ، ويلعب بعقولهن .

وقد كانت هذه الظاهرة سائدة في معظم القرى التونسية التي تقس
الأولياء وأضرحتهم ، فهي شخصيات تونسية مسرحها الأرض التونسية وبما
كانت تتخبط فيه من جهل وسوء معتقد .

هذا جانب من الحياة الاجتماعية في بعض قصص الفارسي . ولقد حاول
أن يصور هذه العادات والمظاهر الاجتماعية في هيكل أبطال يحركهم بسحر
فنه ، ودقة ملاحظته ، مما جعل هؤلاء الأبطال أقرب الى نفوسنا وألصق بحياتنا
اليومية ، فهم يعيشون بيننا ، ويتحاورون فيما بينهم بطريقتهم الخاصة ،
وحسب مستوى تفكيرهم . ومن هنا فإن قصص الفارسي غنية بالنقد
الاجتماعي ، وصدق التعبير عن اللحظة التي يعيشها البطل ويرتفع الفارسي
في بعض قصصه الى مستوى انساني مطلق وخاصة في القصص التي تمتاز
بطابع فكري صرف .

المميزات الفكرية

القصة عند مصطفى الفارسي هي موقف فكري ، يقفه الكاتب تجاه قضايا
العصر ، ومشاكله ذلك : « إن القصص شاهد على عصره في موقف من
عصره أبدا ، وكثيرا ما يقودني ذلك الموقف الى خواطر تملئ نفسها على
وتثبت وجودها على الورق » (18) على حد تعبير الكاتب نفسه ، ولعل اتصال
الفارسي بالفكر الفنان البار كامو (1917 – 1960) كان له الاثر الفعال في
تكوين شخصية الفارسي الفكرية ، فالكاتبان – وان اختلفا في وجهة نظرهما
الى الحياة – فان طريقة تعبيرهما عن مشاكلها ومشاكل العصر واحدة ، :
ذلك أن أبطال الفارسي وكامو يقاومون بلا هوادة ، هم صامدون دوما ، ولا
يتخلون عن الرسالة مهما كانت المصاعب ، الا ان أبطال الفارسي مؤمنون

يجدوى الرسالة التي يقاومون من أجلها ، ولا يعتبرون جهادهم « عبثاً » - في آخر الامر - كما يلوح في ابطال كامو . ورسالة الكاتب - كما بينها كامو - ما يؤمن به الفارسي ويدعو اليه ، يقول كامو : « ليس دورى أن أغير العالم أو البشرية ، اذ ليس لدى من الفضيلة والحكمة ما يكفى لذلك ، ولكن لعل دورى هو أن اخدم حيثما اكون تلك القيم القليلة التي بدونها يكون العالم مكاناً لا يستحق العيش فيه مهما تغير والتي بدونها يكون الانسان - مهما تجدد - غير جدير بالاحترام » .

واذا كان لا يعنينا كثيراً ان نذكر مؤثرات كامو في صاحبنا فاننا لا ننكر هذه المؤثرات ، بل نرى انها ساهمت في تكوين الفارسي القصاص وان فى مستوى النفس الادبى ، وكذلك الفكرى . ويعنينا ان نعرف مميزات البطل الفكرية .

ان القصص التي تعبر عن هذا الاتجاه هي : تطهير الفتاتيش - و - من يدري .. ربما - و - لماذا الموت ؟ - و - اثنان واثنان خمسة - و - القنطرة هي الحياة - و - والطريق - وأخيراً - بمن -

وليس غرضنا ان ننتج هذه القصص واحدة واحدة ، بل نريد ان نذكر البعض ونهمل البعض الآخر تاركين القارىء يعود بنفسه الى هذه القصص ويستشف منها فلسفة الفارسي في الحياة .

تطهير الفتاتيش : ان تطهير الفتاتيش تدعم رأى الفارسي في حبه للحياة ، وتحرر الشعوب . فهو يرى أن الدين والامل والعمل هو الذي ينقذ الانسان الباحث عن نفسه ، في ظلمة موحشة من اليأس القائم الذي يتخبط فيه العالم المعاصر ، وقد آتت هذه القصة على لسان الاطفال الذين يحملون بالمعجزات . وتلوح البساطة على لسان هؤلاء الاطفال ولكنها بساطة الحكمة التي تأتي دون كلفة أو تصنع فالطفل يعتبر ان الله هو الذي حركه . وان الله أعطاه الحياة عندما حرك النمل الجثة ، ولقد كتبت هذه القصة - كما

(18) مجلة « الرواد » الليبية جانفى 1969 : دراسة لمصطفى الفارسي القاها في ملتقى القصاصيين المغاربة بالحمامات 1968 ص 26 - 30

يقول صاحبها - في ظروف خاصة ، وهي أحداث الكونغرس
عندما نال استقلاله سنة 1906 ، فالديك - الأمين العام للأمم المتحدة - ينادى
بأعلى صوته بعدم تدخل الكبار في شؤون الغير ، والماء هو رمز الطهر
وأراد الطفل أن يظهر به فتايشه ، ولكن بحبل واه . ثم هناك شقان في
العالم : أناس يؤمنون بالراسمالية ، وغيرهم بالشيوعية ، لكن الشعوب رغم
تدخل العملاقين ستتحرر اذا واصلت المقاومة ، ومن هنا فالفارسي يؤمن
بتحرر الشعوب والحكم الديمقراطي ، في السلطة الحديثة - الماء والطهر -
وقد صور الاطفال هذه الافكار الكبيرة بخيالهم ووعوم يلعبون ، ترى لو يحكم
الاطفال فماذا يكون مصير العالم ؟

لقد استمعنا الى هذه القصة عن طريق الاذاعة ، ونشرت بمجلة الفكر منذ
سنوات ، ولكنها بدت غامضة ، وهذا ما دعا الاستاذ صالح القرمادي الى
الاستيضاح من كاتبها في المقال السابق الذكر .

وبالفعل فان قصص الفارسي تمتاز بالابهام ، وهذا يتضارب مع موقف
الفارسي الكاتب الاجتماعي ، وان سلطنا بالتجديد في القصة فاننا لا نرى
وجها لسؤال القارئ للكاتب عن معنى قصته .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولقد شعر الفارسي بأن بعض القراء يرمونه بالفلسف والاغراب فرد بان
ه تلك طريقة في كتابة القصة قصيرة كانت او طويلة ، خاصة به .

اثنان واثنان خمسة : وما يؤيد تفاؤل الفارسي وايمانه بالحياة ، أن
نهاية هذه القصة كانت على غير ما يعتقد القارئ (غير مباشرة) : ذلك أن
البطل الذي قرر الانتحار قد عدل في آخر الامر عن ذلك . واختار طريق الحياة
بدل الموت . لقد كان قبل ذلك لا ذاتا ، فاصبح بعد أن قتل عيوبه ووجهه
المشوه انسانا جديدا . ورمز الفارسي الى موت عيوب البطل بسقوط اناء
الرياحين على شخص بازاء نافذة في الطريق . واما ضميره المؤمن فهو ذلك
الشرطي الذي يعمل على احترام القانون . والقصة تسخر من المفاهيم المتعارف
عليها ، وتدعو الى التأمل والتفكير في كل ما يحيط بنا .. بل والى فهم
أنفسنا قبل الآخرين . ثم هي الى جانب ذلك تنقد الاساليب المتبعة لقتل
الحرية الانسانية ، وتسخر من التربية العقيمة ومن هنا بدا لنا البطل في
حيرته وتمزقه أمام القيم المتواضع عليها وفي ايمانه بالبساطة والطهر وفي

حبه للحرية ، ومقته للظلم ، وميله الى التجربة التي تؤدى الى اليقين ، ونقد بعض المظاهر الاجتماعية ، بدا لنا تونسيا فى تفكيره .. هو فى آخر الامر الفارسي يعرض لنا فلسفته وتجربته .

وبما ان الالوان هى المظاهر الخلابة الزائفة ، والتي تتكيف حسب اللحظة الوجودية التي يعيشها البطل ، تماما كما تتكيف الكلمة او اللفظة داخل الجملة ، فقد أجرينا احصاء تقريبا للالوان فى هذه القصة حتى نعرف مدى عناية الفارسي بتصوير البطل لا فى الحركة والسكون بل فى ملامحه ، وفى اللحظات التي يعيشها بطله الثائر الساخر الناقد الحائر . وقد سيطر اللون الاسود على معظم الالوان الاخرى ، فبلغ اكثر من اثني عشرة مرة ، يليه الابيض خمس مرات ، ثم الاحمر ثلاث مرات ويليه الاخضر والازرق والتراب والحفر والصدأ والضوء الخ .. والقصة غنية باثارة المشاكل الفكرية . ولكن المجال لا يسمح الا بالاثارة فقط .

الطريق : هذه القصة تصور لنا البناء الفعلى والعمل المستمر الذى لا يتوقف أبدا .. وقد أقيم الطريق فوق المقبرة .. فوق السكون المطلق .. وهناك أزيز المحركات .. والطريق هو استمرار الحياة ، والثورة على الوسائل العتيقة فهو يشيد بمقدرة الانسان الملحية .. هذا الانسان الميت الحي .. هذا الانسان الذى يعمل ويقبل كانه سيعيش أبدا <http://www.4tebta.com> لا يهمه الموت بقدر ما يهمه الحياة : ذلك أن طريق الحياة تيار لا ينقطع ، فاذا سقط أحد من قافلة الحياة فلا ينتظره الركب فليكن الموت والحياة سواء .. وهذا الجانبان لا يمكن الفصل بينهما .. ان عدم الفصل يؤدى الى العمل الجاد .. العمل المعجزة .. الذى يؤدى الى امتلاك الوسائل المادية والروحية معا ، وسيطرة الانسان على الطبيعة .

اما التمسك بالناحية الروحية ، فهو يؤدى الى الجياحة .. الى عقم الارض الى الاستسقاء ، وما ينفع التضرع والابتهال . عصرنا يصنع المطر ويروى الارض من ماء البحر ويسقى الناس والشجر ، (19)

وهنا ندرك ايمان الفارسي بالفعل والعمل ، كما ندرك ايمانه العميق بجدوى الرسالة الحياتية ، وبالتالي ربطه بين الدين الصحيح والعمل

(19) القنطرة ... ص 276

الخلاقي (220) ويبدو الجد والحفيد كفكرتين تتصارعان وتتجادلان .. صراع الماضي الذي طلق الحياة المادية ، وتنشبت بحياة روحية مزيفة .. وصراع الحاضر الذي ينكر الماضي المتمثل في الجد . ولكنه - الحفيد - يجمع بين المادة والروح في اصفى معانيها .

وهكذا يبدو لنا البطل عند الفارسي ممثلا لروح الشعب في تقاليده البالية ونظراته البسيطة إلى الحياة ، وهذه النظرة في حاجة إلى النقد والتوجيه ومن هنا كان المجال فسيحا امام الفارسي ليظهر فاسد العادات وبائذ التقاليد ، ويبرز عيوب المجتمع والفرد على السواء ، حتى يتسنى اصلاحها وتقويمها ، وفتح ميادين جديدة ، من شأنها ان تساعد على نهضة المجتمع المتخلف .. كما يصور الفارسي جانبا فكريا فلسفيا ، وهذا الجانب هو الذي يميزه عن كتاب القصة في تونس ، وفي هذا الجانب يظهر طابع الفارسي الخاص ، وعلامح فلسفته المقامة على عنصرين اثنين : العمل الذي يثبت به الانسان وجوده ، والدين الذي يحفز على العمل والاستمرار فيه ، كما نلاحظ ثنائية أخرى في قصص الفارسي . وقد صرح هو بها ونعني بذلك الانسان والارض ، ذلك أنه لا يمكن تصور انسان بدون ارض ، ولعل التناحر الموجود في العالم يقوم على هذين القطبين الارض من جهة والانسان من جهة أخرى . فاذا خرج الانسان من الارض انهلكم كيانه وانعدمت اصالته ، فالاصالة تعنى الانتماء الى ارض ما . تعنى التشبث .. تشبث الانسان بسميزاته الحضارية وبارضه تماما ، كما تشبث نباتة الضريع بالصخر بواسطة جذورها .

ويدرك القارئ أن مصطفى الفارسي عبر عن التناقض الذي نعيشه وهو تطلعا الى الحضارة الغربية من جهة ومحافظتنا على الحضارة العربية ، ومتومات شخصيتها من جهة أخرى - راجع من يلدى .. ربما مثلا - وهذا الشعور بالتناقض تعرض له الفارسي في دراسته التي ألقاها في ملتقى القصاصين المغاربة بالحمامات المنشورة بمجلة الرواد : « واقعنا يفرض علينا أن نقرأ حسابا لكل شئ، وخاصة للمتناقضات ، فنحن نتأرجح بين التقليد

(20) راجع لمزيد معرفة رأى الفارسي في العبث الوجودي مقاله المنشور بمجلة الفكر : جانفى 1966 : مقالة بعنوان : بين العمل الوجودي والفعل الاشتراكي . وكذلك مجلة « الرواد » المشار اليها .

والتجديد ، بين النسبية والاطلاق ، بين رصانة العقل واندفاع العاطفة بين النسبية والاطلاق ، بين الشيء وتقيضه أبداً ، وان عبر الفارسي عن مشاكل عصره ، فلانه أدرك معنى الخلق الادبى الذى هو عند الفارسي .. كالحياة تماماً تجدد لا ينتهى مداه ، ولعل الفارسي من الكتاب القلائل الذين عبروا عن تفاؤلهم بالحياة . ويظهر ذلك فى قوله : « أنا من عباد الحياة .. أحبها من أجل الحياة .. لا خوفاً من الموت .. أحبها لانها الحياة ، ولانها ائمن ما يملك الكائن الحى والمتحضر بصورة خاصة ، أحبها لان الحفاظ عليها عمل يتطلب من القوة والعزيمة والجهد والثبات ، اضعاف ما يتطلبه أى عمل آخر مفروض على الانسان أن يقوم به فى هذه الدنيا ، فالحفاظ على الوجود وتدعيمه فينا بالعمل والفعل الدائم ، وجهان من رسالة بشرية لا محالة لكنها من صنف القوانين الالهية أحب الحياة لانها مهددة فى كل آن ، وفى كل مكان ولانها تفى للموت للفناء ، والعدم » .

وتلك هى فلسفة الفارسي فى الحياة ورسالة الكاتب فى عصرنا .

على العربى

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

بُورَاو پے عجبِ نہ

اللَّهُمَّ وَالسُّنَّةُ الْكُبْرَى

(1) عطش

قال الرضيع لأمه وهو ينزع فمه من ثديها :

- لماذا لا أجد حليبا لأروى ظمئي ؟

نظرت اليه صامتة .. ابتسمت بحزن .. مسحت على شعره الغزير الاسود ، وقالت بحنان :

- لا تتكلم الآن يا صغيري فانت لم تبلغ العام الاول بعد من عمرك وأخاف عليك .

- ولكن الحليب غذائي ولا أجد

- لا بأس .. اصبر قليلا وسترتوي .

- كيف أصبر وأنا العطشان !! قد امرض قبل أن اكبر وقد أموت .

- لا يا حبيبي . ستكبر وتعمر ، ولكن انتظر .

- لم أعد أقدر على الانتظار

- سنملا غدا الماء من البئر القريبة .

- ... ملك ذلك الشيخ ؟

- كان ملكنا جميعا قبله فأعطوه له .

- أين أبى ليساعدنا على استرجاعه ؟

- أبوك سافر وسيعود .

- هل حقا انه رجل طيب كما يقول أهل قريتنا .

- هو ذاك . لكن البعض يكرهونه .
- ومتى يعود لأراه ؟
- قريبا يا بنى . ومع رفاقه . وسيسترجعون البشر ونشرب جميعا فنرتوى

* * *

(2) شوق

أنا المشتاقة فمتى يعود القمر الى ساحة المنزل .. نفسى متقطعة بين رفيق
العمر وابنه النائم فى حضنى يحلم بقطرات من الحليب ليبلل شفثيه .. النار
تلتهم صدرى وأضلعي ولا أجذك قربى لتطفئها . فمى يبس بعد غيابك وقد
كان زهرة يانعة بين أصابعك .

عيناي ملهوفتان تبحثان عن وجهك الاسمر وصدرك العريض فلا تجدان
سوى السرير المقفر والجدران .
يا لهفتى عليك يا شمسنا أشرقى قبل الميعاد .
يا خوفى عليك من الكلاب الجائعة والانياب الظلمة .

ثيابك الزرقاء معلقة على الكرسي تنتظر عودتك ، تفوح منها رائحة
التراب والعرق والمحبة .

السرير هنا غرق فى دموى الدموية المالحة بينما أنت هناك ملقى على
الاسمنت البارد مقلوع الاطافر محروق الاطراف ، تسيل من جراحك دماء
طاهرة .

أنا المشتاقة فعد الينا .

لقد بدأت الكرمة فى ساحة المنزل تورق أوراقا خضراء ناصعة . وهنا
وهناك بدأت بعض الازهار تتفتح فعد .. عد الينا .. اننا فى انتظارك لناكل
معا أول الثمار .

* * *

(3) شهادة

انا المنارة المشرفة على البحر والحقول الممتدة ، الشاهدة على عهود الظلم والمقاومة ، شمنت رائحة الاقدام الغاصبة وذقت عطر دماء المقاومين ، تنفست حضارات البربر والقرطاجنيين والروم والعرب والأتراك والافرنج وفهمت تاريخ الاجيال ،

لكننى اليوم لم أعد أفهم ما يجرى فى القرية : وجهها تغير ، وملامحها تبدلت . سكانها نائمون ورجال غرباء يتسللون كالاشباح عبر الازقة مختفين تحت الظلال الكثيفة .

اغصان الزيتون قضبت غذاء لماشية بارزة الضلوع .. السنابل حصدت قبل الاوان ورفضت الشياه اكلها .. الارض تشققت مربعات عميقة كالكهوف والاشجار ذبلت عطشا . والكل يحكى الجفاف والجذب والجوع والظلم .

أين أهل القرية الذين عرفت . أين جامل الشباك الذهبية تلمع اسماءنا وافراحا وحياة . ورفيق الارض يملأ كفيه ترابا اسود ويتشمم رائحة موسم قادم طافح بالخيرات ؟

أين الراعى يشبع حين تاكل اغنامه والساقى يرتوى حين يسقى الارض المزروعة خضرا وغلالا واطفالا ؟ أين النسوة المزغردات الفرحات صباح يوم شديد البرودة حول زياتين مثقلة ثمارا سوداء ناضجة ؟ والاطفال المتجهون نحو المدرسة مبتهجون رغم المطر والبرد والاحوال ؟

أين ذهبوا ؟

الجميع اختفوا وراء الابواب فى انتظار عودة الابن والزوج والاخ والقريب كان قادمهم الى المدينة فى يوم شتائى مشمس غرباء يحملون بنادق ويلبسون قبعات زرقاء ويمسكون كلابا اجنبية ويطؤون الارض الطيبة بأحذيتهم اللعاعة السوداء ويصقون بغير اكترات .

★ ★ ★

(4) حنين وأمل

لقد سئمت طول الانتظار فى هذه الزنازة الضيقة الموحشة .

انهم صلبوا الشمس في أعماق البحر بعد أن قيدوها بسلاسل من الظلم
سرقوا نور القرية وعمرؤا سبلها بجحافل من أشباه الرجال المقنعين .

من هنا يلوح لي وجه أمك - يا ولدى - مرسوما أمامي يقطر دموعا وشوقا
وبسمنتك تزرع الازهار والنور بين أضلعي . و انكما عيونى التى بها أرى ،
والدم الذى يسرى فى بدنى ، والهواء الذى أتففس ، والفجر الذى انتظر .

لقد جرونى والرفاق الى هذه القلعة العتيقة التى عرفنا حجارتها وحديدها
فى عهد المقاومة ضد المحتل الاجنبى . أفمن المعقول أن يلقي التاريخ فى وجوهنا
صورته القانمة الحزينة بعد عشرات السنين ؟

لقد افتكوا أرض الجد من الاحقاد سلموها لشيخ حقيير يتمسح على
عتباتهم . سنابل القمح باعوها قبل أن تخرج من التراب واشتروا بثمانها
قصورا وسيارات من آخر طراز وكلاهما اجنبية . أفواه الشبان والصادعين
بالحق كمموها بالحديد

ولما خرجنا فى يوم عيد نطالب باسترجاع أراضينا وسنابلنا والبشر
وحقوقنا حاصرونا وأطلقوا علينا الدخان المحرق المعيون والكلاب الجائعة
والرصاص القاتل . وجرونا جرا وحشرونا فى زنازات ضيقة . أسمعونا
بنىء الكلام . مزقوا ثيابنا . قصوا شعرنا . قلعوا أظفارنا . أطفؤوا بقايا
سجائرهم فى مؤخراتنا . أجلسونا على قوارير مكسرة والهبوا أجسادنا
ضربا مبرحا بالسياط .

وتألمنا بصمت .

ستمر الايام وسأخرج مع الرفاق تثقل ضلوعنا أتعاب السنين وآمال
الملايين الكادحة وسيكبر فى قلوبنا الحقد . وفى ساحة القرية سنلتقى جميعا
جسدا واحدا لنزرع السماء رعدا والبحر أمواجا عاتية والأرض نيرانا . ثم
نزرع أرضنا الطيبة أناشيد ومواويل مثقلة بالانتقام والمجبة .

وستبرز الشمس من وراء القضبان . ستلوح فى الافق البعيد مزيلة من
حولها السحب المتلبدة والظلام .

لا تبتئس يا بنى وانتظر ميلاد الفجر ،

وسنغنى سمفونية النصر والحياة الكريمة .

بوداوى عجينة

الطيب بن عمار

المختصر الفني في رواية حليم

تأليف :

محمد العروسي المطوي

المصدر : « حليم »

نشر الشركة التونسية للتوزيع ، ط 1978 .

إن استجلاء التركيب الفني لهذه الرواية ومظاهر القصة الفنية فيها يستوجب الاطلاع بمفهوم المؤلف نفسه للعمل المختص وبالارضية الاجتماعية والسياسية التي ولدت هذا الأثر الادبي .

يقف المطوي موقفا خاصا إزاء القواعد الفنية التي تضبط حدود الرواية إذ هو يميل الى التجرد من كل القيود التي قد تعوقه دون التصوير الواقعي لمظاهر الحياة التي يعايشها . فهو يقول في مقدمة روايته « ومن الضحايا : قد تبحث أنت - أيها القارئ - عن تلك الأصول الفنية وتحاول تطبيقها على ما ستقرأ من صفحات ، أما أنا فما يعنيني شيء من ذلك ، الذي يعنيني فقط هو أن أنقل إليك هذا الحديث كما هو مسطور في قصة الحياة ، هذه القصة التي نقرأ منها جميعا ، ونساهم في تأليفها جميعا » . إذن النقل الصادق لتجربة الانسان وممارسته تتطلب في عرف المؤلف الاهتمام بالمضمون دون القوالب الفنية التي تصوغه .

يضاف الى هذا الارضية التي أنتجت الرواية . « فحليم » هي تصوير لنمط من الظروف الاجتماعية والسياسية والفكرية التي حددت بيئة المطوي في فترة الخمسينات . ومعانيته لتلك الفترة أملت عليه هذه الواقعية الروائية

فى نقل ما عاشه من أحداث ووقائع نقلا صادقا يستجيب لرغبته فى التعبير عن معاناة الانسان الواعى بحدود الواقع .

ولعل هذا قد يفسر بالاطار الذى أخرج فيه المطوى أحداثه فهو وطنى تسجيلى .

ففى ما يتصل بالجانب الوطنى سعى المؤلف الى رسم صورة عن الحياة القروية بالريف ، فآلم ببعض المظاهر المميزة لهذه البيئة . فحدثنا عن أيام موسم الحصاد والاعراس (ص 37) واستعرض بعض الامثال التونسية ومقطوعات غنائية . كما نقل بعض أحداث « العين » الى حد الخروج عن مسار الاحداث فى الرواية فيستطرد حين يلم باهتمام القرويين بتشكيل الواقع الريفى بشتى مظاهره : منها ما يتصل بالوضع الاستعمارى ومنها ما هو حياتى بسيط بساطة الحياة فى مثل هذه البيئة .

وتضمن الكتاب - أيضا - تصويرا لبعض العوائد يعتبرها المطوى قوامين تضبط نظام الحياة فى القرية فهو يعلل امتناع عبد الحميد عن فتح الطرد فى غياب أمه وأخته مريم : « كان ينتظرهما حتى يفتحنه لأنه ليس من الأسأوف - فى عرف القرية - أن تفتح أمثال هذه الصناديق والطوود دون حضور كافة أفراد الأسرة » (ص 37) .

كما حاول الكاتب تحديد بعض معالم البيئة الاجتماعية التى تحدد نظام الحياة هناك . ظهر ذلك فى علاقة الشخصيات ببعضها فى الرواية التى جسدت التعاطف القائم بين القرويين عموما . فهذا الحاج المختار يساعد أم حليمة للتغلب على مصاعبها المادية (ص 51) وهذه خديجة تعينها على تجاوز بعض مشاكلها الخاصة . ولكن هذا التعاطف يقابله دائما الحذر والحفظ . بدأ ذلك فى خوف أم حليمة من أن تبت أحزانها لغيرها حين توهمت عزوف الخطاب عن ابنتها (ص 60) .

كذلك أبان المطوى عن ظواهر أخرى كتحكم الآباء فى فرض الزواج على أبنائهم (ص 59) ، وموقف القروى من القدر ومن ولادة الذكر والانثى (ص 13) ، ووضع المرأة فى المجتمع التونسى . ولعل الدور الذى قامت به « حليمة » فى الرواية لشاهد على نزعة المطوى الاصلاحية فقد أراد تصحيح

المفاهيم التي تتصل بمنزلة المرأة في الحياة العملية . لقد أرادها في شخص « حليمة » مثالا لسمو الاخلاق ورفعة القيم . وأخرج شخصية « حليمة » في صورة المرأة الواعية فهي تقبل على مطالعة جريدة « الزهرة » تتحسس ما يجد من أخبار وحوادث (ص 52) ، وتنغم على احاديث النسوة الفارغ فلا تطيق صبرا وهي تستمع الىثرثرة بعضهن فتصيح في احدهن قائلة : « اين انت ، يا اختي ... هل انت تعيشين في تونس ...؟ في هذا الظرف بالذات ... لا . ايها الأخت ... إنك لست في تونس .. لأن استعمارك غير استعمار تونس ... استعمارك ضرة تحاربينها وتقاومينها ... بينما الضحايا تتساقط كل يوم .. تقاوم الاستعمار ، وتتلقي ضرباته بصدر رحب . ونفر باسم .. انت تقاومين الضرة .. اما الشعب .. الشعب الذي أنت فرد منه فهو يقاوم قوات الاستعمار يريد الحرية والاستقلال فهلا تعاونت مع ضرتك لرد العدوان على الشعب الا تبأ لما تصنعان وسحقا لما تقاومان ... » (ص 108) .

وهكذا تحدد « حليمة » مفهومها للرسالة التي يجب أن تتحملها المرأة الى جانب الرجل في مجتمع مستضعف متخلف تتجاذبه قوى الشر والظلم . وهي رسالة المؤمن بقضيته العادلة وبالنصر الحتمي فهي تقول لعبد الحميد : « حمدا لله .. إن الشعب الذي وصلت روح الفدا فيه الى هذا الحد لا يمكن أن يقلب .. سننتصر يا عبد الحميد . سننتصر باذن الله .. » (ص 101) .

هذه الجذوة من الروح الوطنية ظلت تنقد في نفس « حليمة » في اكثر احداث القصة حتى كادت تنسى أبسط وظائفها البيولوجية والعائلية ، فالحمل ورضاعة ابنيتها (ص 128) لم يكونا ليمتعها دون العمل الجاد والنضال ضد المستعمر ، يحدوها في ذلك توق الى الحياة الفاضلة والتغيير من الوضع السائد حتي وإن كان وضعها الشخصي إذ ارتأت من زواجها - مثلا - من عبد الحميد حدثا يحمل بذور مستقبل أحسن فلم تتردد في قبول داعي هذه الرابطة الانسانية (ص 63) .

إن جملة مقومات هذه الشخصية وما فيها من مظاهر الكمال تعكس تماما وضاعة المنزلة التي تتردى فيها أغلب نساتنا في الخمسينات وما قبلها . وما حليمة الا رغبة المطوى الثورية في التمرد على الجمود القائم والغل المقيد دون التحرر والاعتاق . لذلك اخرج هذه الشخصية في ابهى مظاهرها .

الى جانب هذا كله حاول المطوى التاريخ للكثير من الأحداث والتظاهرات السياسية فى ما يتصل بالحركة الوطنية. وبذلك يكون قد اكسب هذه الرواية قيمة تسجيلية هامة اذ نقل نماذج من التضحية والمقاومة الباسلة ضد الاستعمار فبرهنت حليمة وأمثالها من الشخصيات الاخرى كعبد الحميد والشيخ المبثور الساق والمرضة ، برهنت على العطاء السخى للوطن . وتفجير قنطرة قابس من قبل أحد المقاومين يبقى دائما مثالا رائعا للبطولة والفداء . (ص 100) وما كان أيضا من « حليمة » فى المظاهرة التى انتظمت بحى « باب الخضراء » ، والتى كان « نصيبها فيها أن انهال عليها أحد الجنود القساة ضربا ببؤخرة بندقيته فاصابها فى جنبها ووقعت على الأرض ثم ركلها برجله ركلة فظيعة حتى اغمى عليها » (ص 104) .

وعنى المؤلف أيضا بتصوير مظاهر الاضطهاد والعسف التى كان يسوم بها الاستعمار الوطنيين التونسيين (ص 102) وما كان من هؤلاء من « ثبات فى النضال وصمود فى الكفاح » فانتظمت المظاهرة الكبرى بحى « باب الخضراء » (ص 104) . والاجتماعات العمالية بقيادة « فرحات حشاد » ، واعلنت بعض الوطنيات اضراب الجوع بجامع الزيتونة (ص 106) .

وسجل المطوى أيضا أحداثا هامة فى الحركة الوطنية كواقعة 9 افريل واعتقال الزعيم يوم 18 جانفى 1952 . وهو فى ذلك يحرص أحيانا على ضبط تواريخ هذه الوقائع وذكر أسماء بعض من استشهدوا .

قد يؤكد هذا كله الدافع الذى جعل المطوى يتحلل من القواعد المعروفة فى بناء العمل الروائى الا أنه بإمكاننا تتبع مظاهر القصة الفنية فى « حليمة » مع اعتبار موقف الكاتب منها وهذه الارضية التى نبعت منها .

اهتم المطوى فى هذه الرواية بتصوير مرحلة مرت بها الحركة الوطنية إبان الخمسينات وهى تساعد المقاومة المسلحة والمواجهة الفعلية للاستعمار . لهذا أخرج الأحداث فى أسلوب غلب عليه السرد والتقرير دون أن يكسب شخصياته حيوية الخلق والابداع . وكانت العقدة أيضا مشتتة ومقسمة مهد لها الكاتب بعرض مأساوى لماضى « أم حليمة » : فانفكاك البنية الاسرورية للبطلة جعلها تشعر بنوع من الغربة على مستوى العواطف العائلية . ومنها بالحاجة الى تكميل ذاتها والبحث عن المقومات المفقودة فى أسرتها : هو البحث

الدائب عن الأب الركيزة الهامة في توازن العائلة . هي تلك العقدة التي تتصل بالقسم الاول من الاحداث الا أن الكاتب لم يستغل هذه الظاهرة النفسية فيتصدى الى تحليلها لوكتسبها صبغة انسانية شاملة .

يطالعا المطوى بخوف الأم من موقف ابنتها إن هي أخبرتها بحقيقة موت أبيها . وكنازيم العقدة شيئا فشيئا : تبدأ بحيرة حليلة وسعيها الى الكشف عن سر موت والدها . وإذا بأبها تلتمس الحل عند الحالة خديجة فيرد هذا الحل وقتيا ليخفف من حدة إلحاح « حليلة » . ولكن رسالة وردت على عبد الحميد من أبيه تثير من جديد رغبتها في استجلاء هذا اللغز ثم يأتي انفراج العقدة من جديد سهلا بسيطا فيجعل الكاتب الأم تقبل في سر الاصداع بالحقيقة (ص 57) وهي في ذلك عاجزة عن تفسير هذا التصرف فتقول : « ما كنت اظن اننى ساذكر لك هذا ... لكن رغبتك اليوم لم استطع لها ردا » (ص 98) وهكذا يكون موت الأب المحور السببي لهذه الاحداث التي عرضتها الرواية حتى أن « حليلة » تستمد بطولاتها ووطنيتها مباشرة من هذا الحدث الذي ألم بأمرتها ، وكان فضالها وتصديها لمقاومة المستعمر كان بدافع الثار لا الوعي والاستجابة الحقيقية الى نداء الوطنية الصادقة .

يبدو إذن أن الرواية تنشط الى قسمين واضحين يتباين فيهما الحدث والزمن والمكان .

كان القسم الاول تمهيدا لدخول حليلة في الثورة والمقاومة المباشرة انطلاقا من معاناتها لموت أبيها شهيد الصراع ضد القوى الاستعمارية . ومن ثم كان إدراكها ووعيتها بحقيقة الوضع بالبلاد . لقد ركز المطوى في بداية الرواية على ماضى أم « حليلة » بما فيه من مأس وآلام فجعلها بطريقة تيار الوعي الذاتى تسترجع هذا الماضى ليفيد « حليلة » في توليد ما سينشأ من أحداث مستقبلية وبذلك يتفاعل الزمان (الماضى والمستقبل) ليخلق هذه الشخصية البطلة .

كذلك الشأن بالنسبة للبيئة المكانية التي مثلها في القسم الاول الريف الجنوبي الذي كان له الدور الهام في توجيه « حليلة » تلك الوجهة التي رسمتها لنفسها وهي تقيم بتونس . ولعل أهم العناصر المميزة لهذا الريف هي :

★ الفقر : فالتباين المادى بين متساكنى القرية واضح فى بعض اهتمامات الشخصيات ذاتها فأم حليمة تنقم على الاغنياء وتحقد على شيخ التراب الذى لم يساعدها على أن تنال ابنتها حاجات المدرسة بالمجان فتسأل : « من أنشئت هذه المدرسة إذن ؟ ليست لبنات الأراامل والفقراء انها لهم اولئك الذين يملكون ويكسبون ... حقول !... مزارع .. ضيعات .. بيوت كبيرة !... » ثم تستطرد لتقول : « زوج خديجة يحرق على جملين وبغل ... الشيخ محمود يبذر قفيزين من القمح وقفيزا كاملا من الشعير ... نعم قفيز كامل من الشعير يدسه فى التراب قد يأتى وقد لا يأتى بشئ آه لو كان عندى قفيز شعير فى بيتى » (ص 11) ثم إن بعض أحاديث « العين » كانت تنم عن هذا المدلول المادى « فام السعد » أرسل لها ولدا من تونس بالف فرنك ، وكان نصيب الحى الغربى عظيما من صيد البحر فقد جلبوا سمكا كثيرا (ص 16) .

ثم نضيف الى هذا طبيعة الحياة التى عاشتها حليمة فى هذه البيئة . لقد ركز الكاتب على كدح أمها فى طلب العيش لتوفر لابنتها المتطلبات الضرورية للدراسة وللحياة عموما .

★ الاستعمار : كذلك مارست حليمة هناك تجربة أخرى تمثلت فى معاناتها للاستعمار . ولعل الاحاديث التى كانت النسوة يجاذبهنها عند العين لدليل على هذه المعاناة . وللوقوف على ذلك يكفى أن نسوق خبرا نموذجيا لذلك يتصل بشيخ القرية فتروى احدا من أنه أقام « مائدة عشاء لثلاثة من الجندرة جاؤوا اليه اثر صلاة العصر » ثم تضيف : « كل الناس خائفون من هذه الزيارة . وهل يأتى الجندرة بخير ؟ انهم ما جاؤوا الا لامر يصيب واحدا من القرية او جماعة : غرامات ... اعتقالات ، تجنيد ... نفى جنسى . ما كان نزولهم الا مصائب تتوالى » (ص 16) .

وهكذا فان الفقر والاستعمار يعتبران من الركائز الاولى فى تشكيل شخصية « حليمة » انطلاقا من البيئة والواقع .

هذا فيما يتعلق بالقسم الاول من الرواية . أما القسم الثانى فانه يتحدد مكانيا باقامة البطلة بتونس بعد أن تم زواجها بعبد الحميد الذى كان فى الواقع نقطة انتقال فى حياتها ، فمن القرية الى الحاضرة ، ومن الجمود الى

النضال الفعلي ضد الاستعمار ، ومن ماضٍ مأساوي الى حاضر تتجاوز فيه الشخصية كل القيود التي تشدها الى هذه المأساة ذلك أن الثورة التي اندمجت فيها ستجد فيها شعورا براحة الواجب وتخفيفا من حدة مرارة الواقع وآلامه .

هذا وقد استغل المطوى طريقة الوعي الذاتي للتعبير عن مواقف بعض الشخصيات في روايته . إلا أن هذه المواقف كانت لا تلائم - أحيانا - الشخصية التي صدرت عنها . فوعى أم حليمة بالجمال وتأملها في ذاتها لم يكونا ليناسبها هذه الشخصية وحدودها المكانية والفكرية . فهي تقول تشير ذكريات الماضي : « ما أتعبها من لحظة ! كان الفصل ربيعاً في بدايته ... أخذت الطبيعة تتفتح عن أجنتها ، عن زهورها وبراعمها ... كانت تفوح بعطر الحياة .. لم أعرف حقيقة الربيع إلا مرة واحدة ... كم مضى من ربيع وأنا عذراء في ريعان الشباب وبهجته » (ص 24) كذلك فإن حليمة المرأة الريفية التي لم تكتمل ثقافتها لم تكن هي أيضاً تتلاءم والاحداث البطولية التي سبقتها .

ثم إنه كان على المطوى استغلال الجانب العاطفي في القصة فيعنى بتحليله حتى يكون عنصر تشويق هاما في بناء الاحداث .
ولكن كل ذلك قد نرجعه الى هذه النفحة من الوطنية والواقعية المسيطرة على الكاتب فتجعله يركز على كل ما يتصل بهما دون سواهما .

وفي هذا الاطار أيضا يندرج حرص الكاتب على استغلال المدلول العام لبعض المفردات كلفظة « كيلو بوسطة » استغرافا لمحتواها ومعناها عند العامة (ص 36) يبدو ذلك أيضا في لغة الرسائل فهي تقارب العامية تركيبا ومدلولا ففي رسالة وجهت الى عبد الحميد من أبيه نقرا : « يا عبد الحميد أوصيك دائما بأمك وأختك مريم لأنك تلقاه في الدنيا والآخرة وخذ بالك منهما في كل وقت » (ص 39) .

وهكذا فإن العناصر النفسية لهذا العمل الأدبي - الى جانب مضمونه - تفصح عن هذا الاحساس القومي والشعور بالانتماء لدى المؤلف ذلك أنه أراد الرواية زاخرة بصور الماضي التي تتصل بفترة حاسمة من فترات التاريخ الحضاري لتونس ، وطافحة بالرؤى المستقبلية لوضع المرأة في بلادنا عموما .

الطيب بن عمار

نور الدين بن بلخاسيم

علي بن منصور

أزاح علي بن منصور سطل « الهندي » بعيدا عنه ، وقرب بعقفته الملقاة قريبا من الحصير سطل التين والخوخ فاكل منه نصيبا . ثم أبعد الجميع عنه وتجشأ . وحمد الله على الخير والنعيم الذي جاد به عليه الله .

وقال في سره : إن كل هذا من فضل ربي ، الدنيا يصرفها ملك يقبع في السماء قادر فاعل ، وأخذ سبخته وردد أسماء الله الحسنى تسعا وتسعين مرة . وقرا الفاتحة ثلاث مرات . ورجعت به الذكرى الى الماضي عندما كان يرحل كل سنة في أوائل الربيع الى الشمال التوتسي بحثا عن العمل في مزارع المعمرين . وأنه ليتذكر سنة مشؤومة تركت آثارها في نفسه . كان ذلك سنة 1949 عندما جفت الأرض وعمها القحط ، وانقطع منها الاخضر واليابس ، فمات الحيوان وجاع الناس ، حتى أن بعضهم أكل « ظلف الهندي » وحفر بعضهم على « الفهز » في أماكن مختلفة من الأرض الكالحة ، فلم يجد الناس بدا من الهجرة الى الشمال ، فهاجر علي مع المهاجرين من أهل الريف . وكان يرفقته ابنه أحمد وابنته خديجة وزوجته أم السعد . وحرص جميعهم على أن يكونوا مع قافلة الراحلين طلبا للامن من اللصوص وقطاع الطرق .. فكم من مرة رحلوا فيها الى الشمال ووجدوا في طريقهم المقتولين ذبحا أو المشيمة رؤوسهم بالحجارة . وكم من مرة تغير قافلة على قافلة أخرى لا فتكاك الزاد الهزيل منها أو لاغتصاب بعض الابل لذبحها اتفاقا لغائلة الجوع .

في تلك السنة استقر به المطاف مع رفاقه ببجاجة حيث مكثوا ينتظرون الشروع في الحصاد . وفي تلك السنة هب عليهم وباء الكوليرا فماتت زوجته أم السعد ، وابنته خديجة ، ولحق بهما ابنه أحمد بعد فترة وجيزة . وكان هذا عماد الاسرة وركيزتها . وكم كان حزنه شديدا أثناء رجوعه منفردا بعد أن

ذهب فى عائلة كاملة . ولكن دمة واحدة لم تخرج من عينيه . كان كلما أحس بالحزن الشديد ردد الآية القائلة : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) . وقد صارت فكرة الموت بالنسبة له ولكل المسافرين أمرا عاديا ، بل صار كل واحد يتمنى الموت حتى يتخلص من حياة مملوءة بالأتعاب والمشقة . وما أكثر شقاء الذين بقوا أصحاء ! فهم لا يرغبون من حفر قبر إلا ويرجعون الى حفر قبر جديد ، حتى كلوا وملوا ، فعمدوا الى دفن الاموات بالجملة وكان علي يشاهد الحزاني ، ويسمع نواح الثكالى ، وبكاء الارامل ، واضطراب اليتامى وعويلهم فيردد بصوت خفى قوله تعالى : (ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله) ولم يستطع فى تلك الصائفة أن يتحصل على شئ ، يذكر من « عولة » السنة ، فام السعد وابنه وابنته قد ماتوا جميعا ، وهو بدونهم لا يستطيع أن يحصل شيئا يذكر . كل ما رجع به من صائفته تلك قليل من القمح والشعير لا يكفيه لمؤونة شهر اكتسبه من تعليمه القرآن لصبيان الفلاحين والحماسة ...

وانتبه على فرأى أن أصابعه قد توقفت عن التسبيح ، وأن لسانه قد توقف عن ذكر الله ... ومضى به داخل ثوبه فأخرج ساعته الجيبية ، فرأى أن وقت العصر كاد يفوت فلحن الشيطان ، ولحن الماضي جماسيه ، وبسمل وحمدل ، وشكر لله الذى هداه الى زوجته عجيبة . هذه المرأة الصالحة التى تعمل كامل اليوم فى الارض مثلما يعمل الرجال . ورأى أن الله قد رزقه منها باثني عشرة ولدا ليعينوا أهم على خدمة الارض . وما الغلال التى كان يأكلها قبل حين إلا من زرق الله الذى أفاء عليه ...

كانت زوجته الثانية مثل الاولى لا تعتمد عليه فى التحصيل والعمل ، فهو مؤذب عاش مدلا طول حياته فرقت جلدة يديه ، وتضخم بطنه ، فلم يعد يقوى على مقاومة صلابة الارض وشروء المحراث ...

ونادى أحد أولاده وطلب منه أن يقدم له ماء الوضوء ففعل . عندها قام فتوضأ ، وصلى ، وجلس على الحصير من جديد . فى ذلك الوقت قدم ابنه ابو بكر من السانية فخاطبه قائلا :

— أمى قد تعبت يا أبى ...

فسأله :

— ماذا تريد أن أفعل معها ؟

قال له :

— أن تعينها من حين الى حين !

فرد عليه بلهجة صارمة :

— وأنت ماذا تفعل اذا أنا انخرطت معها فى العمل ؟

أجابه ابنه بلهجة منخفضة :

— أتريد أن أتخلى عن تعليمى يا أبى لأعمل بالارض ؟

نظر اليه مليا وقال :

— أسمى تعليمكم فى هذا الزمان تعليمًا ؟

سأله ابنه ضاحكا :

— وای تعليم تراه أحسن ؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قال علي متنهدا :

— إنكم تقرأون عن الكلاب ، والشعالب ، والفقطط ، والاحمرة اما نحن فقد

كنا نتعلم القرآن وأقوال الرسل والصحابة وسير الاولياء الصالحين .

أجابه ابنه وهو ينظر نحو المزرعة :

— لكل عصر رجاله يا أبى !

قال هذا ولحق بأمه فى المزرعة . وفكر علي مليا فيما عسى أن يكون عليه
ابناؤه الذين يتعلمون بمدارس اليوم ، إنه يفضل لو بقى جميعهم فى الارض
يعملون ، وفى حضائر الشغل لكان ذلك أجدى بالنسبة له ولهم . ولو كان
الراى رايه لأبقاهم بالمنزل . ولكن زوجته عجمية أرغمته على أن يرسمهم
بالمدارس الحديثة ، فهو يعتقد أن التعليم الصحيح هو تعليم الدين . ولذلك
فهو مؤمن بأن الزمن قد فسد ، وأن النفاق قد انتشر ، وأن حديث الناس عن

الصعود الى القمر ما هو إلا صنع خيال لا طائل من ورائه، وهو جهل وتحد لله .
وعندما يذكر أبنائه في نقاشهم أن الأرض دائمة الدوران - كما يزعمون -
يحتار في أمره ويتساءل في سره : لماذا لا يدور معها باب الكوخ من الجنوب الى
الشمال ، أو من الشرق الى الغرب . أما حديثهم عن الأرض بأنها كرة معلقة
في الفضاء فهو الجنون بعينه ، فلو كان ذلك صحيحا كيف تبقى البحار لاصقة
بالأرض وكيف لا يفيض الماء على اليابسة . ثم لو كانت الأرض معلقة في الفضاء
ولا تتركز على قرني نور كما قرأ في الحكايات القديمة ، فكيف لا تسقط الأرض
الى أسفل أو تطير الى أعلى .

إن كل هذا يحيره ويقلقه في مناسبات كثيرة . وكان في كل مرة يهم بأن
يسأل أبنائه عن الغموض الذي يكتنف هذه الآراء . ولكنه يحجم اتقاء
لسخريتهم . وقد لقب أهل الريف على بن منصور بالميداني ، لانتسابه الى
الشيخ الميداني أصيل قصبة المديوني بالساحل التونسي ، الذي أخذ
الطريقة عن الشيخ أحمد العلاوي بالمغرب الأقصى . وقد قاد هذا الأخير حلقات
الذكر ، حيث كان يدور الذاكرون في دوائر فيكتون ، ويلهلهون ، وتثور فيهم
الحمية فيبدأون على ذكر الله المرة تلو الأخرى ، حتى « يدهشوا » فيتساقطون
الواحد تلو الآخر من شدة التعب ...

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ومن شدة ولاء البعض للشيخ الميداني عمد الى أن أهدي له غابة الزيتون
التي يملكها ، فأسرع هذا وسجلها باسمه . وقد تحصل الشيخ الميداني على
ثروات طائلة بهذه الطريقة ما يزال أبنائه يتنعمون بخيرها .

وقد أطلق على بن منصور لقبه اقتداء بشيخه فطالت حتى التهمت صدره...
وهو لا يزال يذكر ما وقع له إبان التعاضد عندما ذهب لأول مرة في حياته
ليعمل باحدى الحضائر ، فاشتراط عليه رئيس الحضيرة أن يحلق لحيته حتى
يمكنه من العمل ، وطمأن أنه يمزح معه ، ولكن ظهر له في النهاية أنه جاد في
قوله ، فتخلى عن العمل منذ ذلك اليوم ، وثار في قاهره ، واعتبر أن ذلك
إهانة له . واعتقد أن الزمن قد امتلا زندقة ، وأن الحير قد غاب عن الأرض ،
وفضل أن يمكث بالمنزل رغم ما يعانيه أبنائه من خصاصة . وكان يحس
بداخله بقبطة خفية ، فهو مؤدب لا يجوز له أن يعمل مع من دونه مرتبة ،
فالعمل بالمسحاة والرفش مما يحط من قدره ، وقد أراد أن يتحمل هذا على

مضى ولكن أن يطلب منه زنديق قص لحيته فذلك ما لم يحتمله ! ولو فعل
ما أمره به لصارت له فضيحة بين الريفيين ، فهو المشهور بهذه اللحية
العظيمة بينهم المشار إليها بالأصابع ... ولولا مبادرة زوجته عجيبة بتربية
بعض الدجاج والحرفان للانفاق على أبنائهما لانقطع جميعهم عن التعليم ،
وحسرت فيهم آمالها وطموحها المنتظر ...

كانت تلك الواقعة قد أثرت فيه فانعزل أكثر عن الناس، وانقطع الى مطالعة
الكتب القديمة وحكايات الصحابة والرسل ... قرأ كيف كان السيد علي
يحارب الجن تحت الأرض ، وكيف خاض معركة حامية مهم في وادي
السيستان ، وكيف كان يقتل من الكفار بالمائة في الضربة الواحدة ، وقرأ
حكاية رأس الغول ، وتذكر حكاية علي ابن السلطان وشجاعته فاقتنع بأن
الرجال هم المتقدمون ، وأن الشهامة والقيم الرفيعة قد ذهبت مع الاولين ، ثم
أحت عليه فكرة وهي أن السيد علي أشجع الاولين والآخرين وأن النبي عيسى
أشهر الاطباء في الدنيا لأنه كان يبرئ الأعمى والأبرص والاكمه .

كانت زوجته كلما قدمت عليه إلا ووجدته غارقا في القراءة فتغفل وتضرب
يدا بيد ، وتطلب منه أن يعمل كمثل الرجال في الحضائر ، فيرفع نظره عن
الكتاب وينظر إليها من خلال زجاج نظارته السميك ويجيبها بالآية قائلا :

— (وما من دابة على الأرض إلا على الله رزقها) .

فتبكي وتحسر فيحاول إقناعها قائلا :

— يا جاهلة ألم تعلمي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (من يريد
الله به خيرا يفتهقه في الدين) .

فتثور وتقول :

— سأترك لك كل شيء وأذهب الى بيت أخي .

فيرفع رأسه من جديد ويردد قائلا بلهجة هادئة رصينة وبصوت مطمئن :

— (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) .

فتنصرف عنه غاضبة فيضحك ويقول لنفسه :

- كم هي متلهفة على الدنيا هذه المرأة . ويلهج بالآية الكريمة :
(إنما الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال
والاولاد ...)

وهو لا يمتنع عن كتابة الحجابات لأهل الريف مقابل عدد من البيضات أو دريهمات معدودات معتقدا أنه بذلك يقوم برسالة طيبة للناس : ورغم أن ابنه حسنا قد توظف وبنى بيتا عصريا فقد بقى على رأيه بأن التعليم الجديد لا فائدة فيه ، وأن الناس قد تخلوا عن العلم المعبود لطريق الجنة وهو علم الدين ، وتمسكوا بثرهات يحاولون بها أن يعاندوا الله في خلقه ، فالإنسان في رأيه عاجز ضعيف ، خاضع للقضاء والقدر ، وجاهل لا يعرف منزلته ، ولا يقر بعجزه ... وهذا ما جعله يدعى العلم والصعود إلى الكواكب مدعيا ما ليس فيه .

وسرح في هذه الخواطر حتى وجب وقت الصلاة فقام وصلى المغرب . وأخذ حصيره وبرنسه وتوجه إلى سانية « الدلاع » حيث كان يعس بالليل خوفا من السراق . وهناك يجد الخلوة للعبادة والهجود ، والتأمل ، والتفكير في الناس ، وفي فساد العصر ، وأنحطاط القيم ، واختلاط الحابل بالنابل . وتحت القمر يحس بنشوة روحية لا تدانيها نشوة ... يشعر بأنه قد ابتعد عن كل أوساخ الدنيا وأقذار العالم ، ووقف في خلوته وجها لوجه أمام الله .

نور الدين بن بلقاسم

هبيرة (منزل حشاد في 13 جوان 1977)



<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تحاول مجلة « قصص » ان تكون المرجع الاكمل والاوفى لما صدر فى تونس من اقصيص ونشر فى مختلف الصحف والمجلات أو ضمن المجموعات . وهي - إذ تنشر هذه القوائم - ترجو من قرائها الاعزاء مدها بكل ما لديهم من ملاحظات وما يمكن ان يتداركوا به سهوا أو نسيانا أو عدم اطلاع . ويخضع هذا المسرد لوجود المصدر واكتماله أكثر من خضوعه للترتيب الزمنى أو الأبجدي الذى سوف يكون مرحلة ثانية بحول الله . وسيكون ضمن هذا المسرد القصص المترجمة الى العربية كذلك باعتبار ان الترجمة - لا سيما الادبية منها - هي من الخلق والابداع دون اغفال الكاتب الاصلى ومن ترجم .

مجلة « الشباب » (*)

العدد الرتبى	عنوان القصة	المؤلف	المرجع
1	اجتماع فى الكعبة	فياس معروف	ع 1 - س 2 - نوفمبر 1957 - ص 41
2	اسير فر	عبد الوهاب التليلي	ع 9 - س 5 - سبتمبر 1961 - ص 34
3	اعصار	محمود طرشونة	ع 5 - س 6 - جويلية 1962 - ص 36
4	امراة من الغرب	محمد قشيش	ع 7 - س 11 - أكتوبر 1967 - ص 36
5	انتقام	حدي الرياحي	ملحق (3 - 4) - 1970 - ص 8
6	أهل الشراع	الرشيد ادريس	ع 2 - س 1 - سبتمبر 1956 - ص 11
7	أيام خالدة	عبد العزيز الحاج الطيب	ع 1 - س 10 - جانفى 1966 - ص 60
8	أين رفيق ؟	عبد الحى الصغير	ع 7.6 - س 6 - نوفمبر 1962 - ص 44

ع 1 - س 6 - فيفري 1962 - ص 30	محمد الهمامي	9 أين سعيد ؟
ع 9 - س 1 - جوان 1957 - ص 35	فرج المحجوب	10 بطولة وفداء
ع 10 - س 3 - جويلية 1959 - ص 33	صلاح الدين بن حميدة	11 بكيت أمي
ع 7 - س 12 - جويلية 1968 - ص 34	عبد القادر بالحاج نصر	12 تذاكر قطعناها
ع 7 - س 2 - ماي 1958 - ص 38	فرج المحجوب	13 (تسعة) 9 أفريل
ع 8 - س 12 - اكتوبر 1968 - ص 30	زهرة الجلاصي	14 جدار في أعماقي
ع 5 - س 10 - ماي 1966 - ص 56	جلول عزونة	15 جراءة أنت متأخرة
ع 6 - س 10 - جوان 1966 - ص 50	بلقاسم بن حسن	16 الحاجز
ع 9 - س 11 - ديسمبر 1967 - ص 46	محمد قشيش	17 حب قديم
ع 1 - س 1 - أوت 1956 - ص 38	طه أبو مسلم	18 حديث المدينة
ع 2 - س 3 - ديسمبر 1958 - ص 14	فرج المحجوب	19 حشاد الحالد
ع 5 - س 1 - جانفي 1957 - ص 39	عياش معرف	20 حواء بخير
ع 3 - س 2 - جانفي 1958 - ص 37	عياش معرف	21 حول ذكرى أول جانفي
ملحق 2 - 1970 - ص 10	عبد الله الرداوي	22 خطوات وسط شارع طويل
ع 4 - س 13 - اكتوبر / نوفمبر / ديسمبر	رضوان الكوني	23 خيبة

1969 - ص 46	خالد المقبل	دخان السجارة	24
ملحق (3 - 4)			
1970 - ص 16	أحمد ممو	الدرجة الخامسة	25
ع 2 - س 14 - افريل			
/ ماي / جوان 1970 -			
ص 32			
ملحق 1 - 1970 -	ابتنسام الفطاسي	الدرس القاسي	26
ص 6			
ع 10 - س 5 - نوفمبر	بويكر سعيد	الدسائس	27
1961 - ص 37			
ع 1 - س 8 - جانفي	محمود طرشونة	دمعتان	28
1964 - ص 56			
ع 4,3 - س 9 - نوفمبر	عبد العزيز الحاج الطيب	ديك حليلة	29
/ ديسمبر 1965 -			
ص 73			
ع 2 - س 10 - فيفري	صالح الجابري	ذكريات طفل	30
1966 - ص 43			
ع 6 - س 1 - فيفري	عياش معرف	الرجوع الى الحق	31
1957 - ص 11			
ع 5 - س 11 - أوت	محمد قشيش	الرسالة القديمة	32
1967 - ص 28			
ع 4 - س 10 - افريل	عبد العزيز الحاج الطيب	السنوات العشر أو نور	33
1966 - ص 62		الذاكرة	
ع 10 - س 1 - أوت	فرج المحجوب	الشهيد	34
1957 - ص 38			
ملحق (3 - 4)	حمادي المجاربة	الضياع	35
1970 - ص 10			
ع 10 - س 12 - ديسمبر	نافلة ذهب	عدت ولكن ...	36
1968 - ص 34			
ع 2 - س 9 - اكتوبر	عبد العزيز الحاج الطيب	عربة المقعد	37

1965 - ص 50	محمود طرشونة	عقارب الساعة تدور	38
ع 5 - س 8 - ماي			
1964 - ص 53			
ملحق I - 1970 -	توفيق الزيدى	عندما نريد خيوط الشمس	39
ص II			
ع I ، 2 - س I3 جانفى	يوسف الحناشى	غدا سأولد	40
/ فيفرى 1969 - ص 32			
ملحق I - 1970 -	المنصف الشيعي	غرور	41
ص 3			
ع I - س 4 - أكتوبر	صلاح الدين بن حميدة	غزل فى فصل الزيتون	42
1959 - ص 38			
ملحق (3 - 4) -	يوسف الشابى	غفران	43
1970 - ص 15			
ع 3 - س 12 - مارس	عبد الجليل الهامى	الفاجرة	44
1968 - ص 28			
ع 5 - س 8 - جوان	محفوظ شقرون	قصة ارض	45
1964 - ص 49			
ع 3 - س 13 - جويلية	ابراهيم بن مراد	قمر وشمس	46
/ أوت / سبتمبر			
1969 - ص 40			
ع I - س I - أوت	الرشيد ادريس	كفاح ونصر	47
1956 - ص 9			
ع 8 - س 10 - أكتوبر	يحيى المامى	لعبة على الكرنيش	48
1966 - ص 50			
ع (5 ، 6) - ماي /	ليلى مامى	لعل أشدك أكثر	49
جوان 1968 - ص 46			
ملحق 2 - 1970 -	عائشة عزيز	لو علمت	50
ص 5			
ع 2 - س 5 - نوفمبر /	صلاح الدين بن حميدة	ليتها تدرى	51
ديسمبر 1960 - ص 36			

ع 4 - س 2 - فيفري 1958 - ص 38	فرج المحجوب	ليلة المعركة	52
ع 9 - س 12 - نوفمبر 1968 - ص 30	أمينة بن مصطفى	الماضي يعود	53
ملحق 2 - 1970 - ص 8	منجية بسرور	متى يعود ؟	54
ع 9 - س 10 - نوفمبر 1966 - ص 44	محمد المختار جنات	من أرضنا	55
ع 1 - س 12 - جانفي 1968 - ص 36	زهرة الجلاصي	من ذكريات طفلة	56
ع 7 - س 1 - مارس 1957 - ص 31	فرج المحجوب	ناهدة البائرة	57
ملحق (3 - 4) - 1970 - ص 6	عبد العزيز الغويل	نداء وثورة	58
ع 2 - س 6 - مارس 1962 - ص 31	عبد الوهاب التليلي	هل يعود ؟	59
ع 8 - س 1 - ماي 1957 - ص 36	فرج المحجوب	ينتحر لينجح الهجوم	60

(*) مجلة الشباب من منشورات الحزب الاشتراكي الدستوري ، صدر العدد الاول منها في سبتمبر 1956 ، وصدر العدد الاخير منها في الاشهر الثلاثة الاخيرة من سنة 1970 (14 مجلدا) . كما صدر معها في سنتها الاخيرة اربعة ملاحق خصصت لانتاج الشباب في القصة والشعر والمقالة . وقد ادارها ورأس تحريرها تباعا محمود المعموري وحسيب بن عمار والهادي البكوش ومحمد الصياح ومحمد العربي عبد الرزاق .